

جامعة أم درمان الإسلامية

معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي

قسم الدراسات النظرية

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الأدب والنقد

بعنوان:

الشيخ محمد مجذوب قمر الدين

حياته شعره

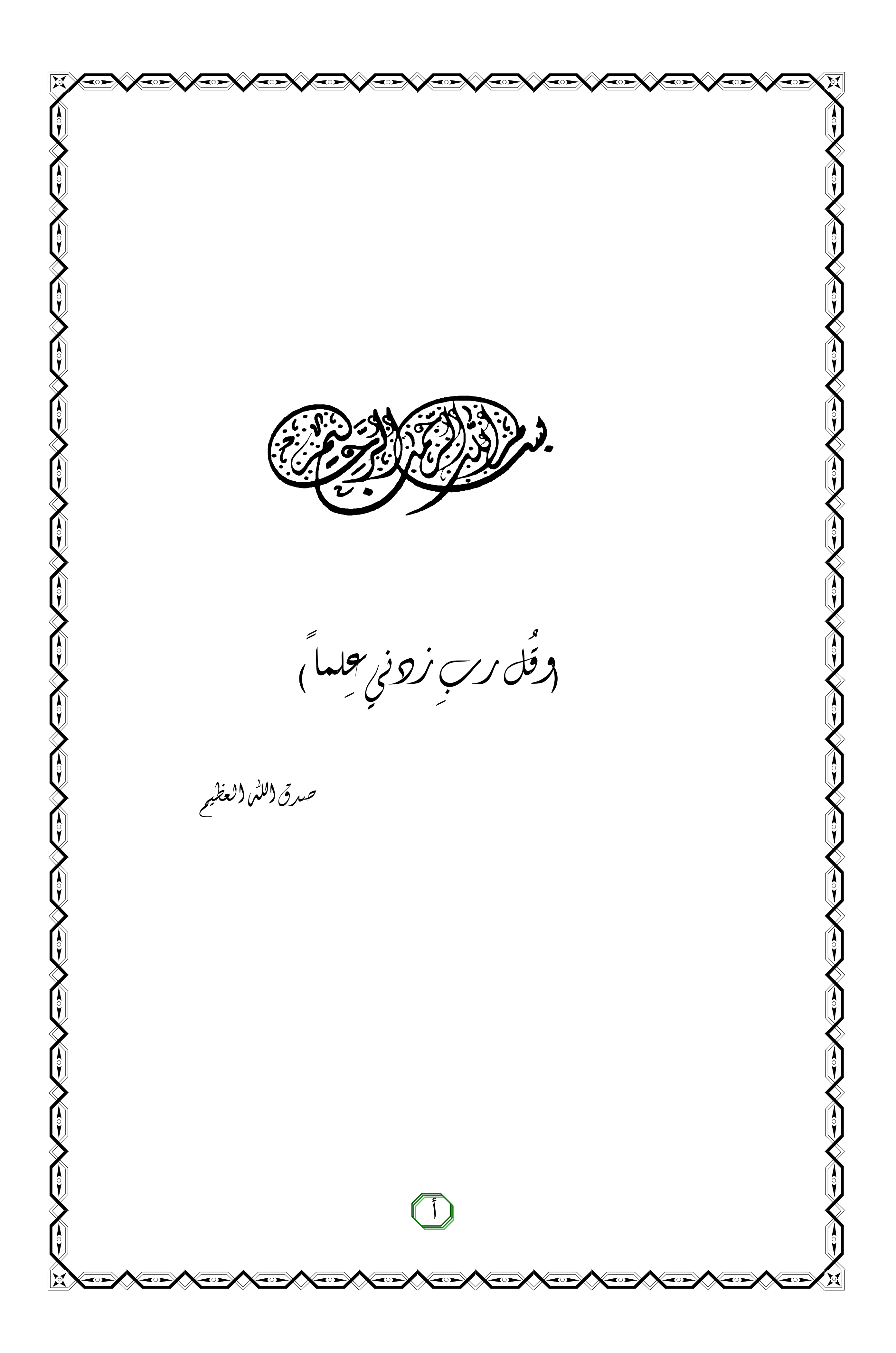
إعداد الطالبة:

فائزة الطيب محمد أحمد

إشراف:

أ.د. بابكر البدوي دشين

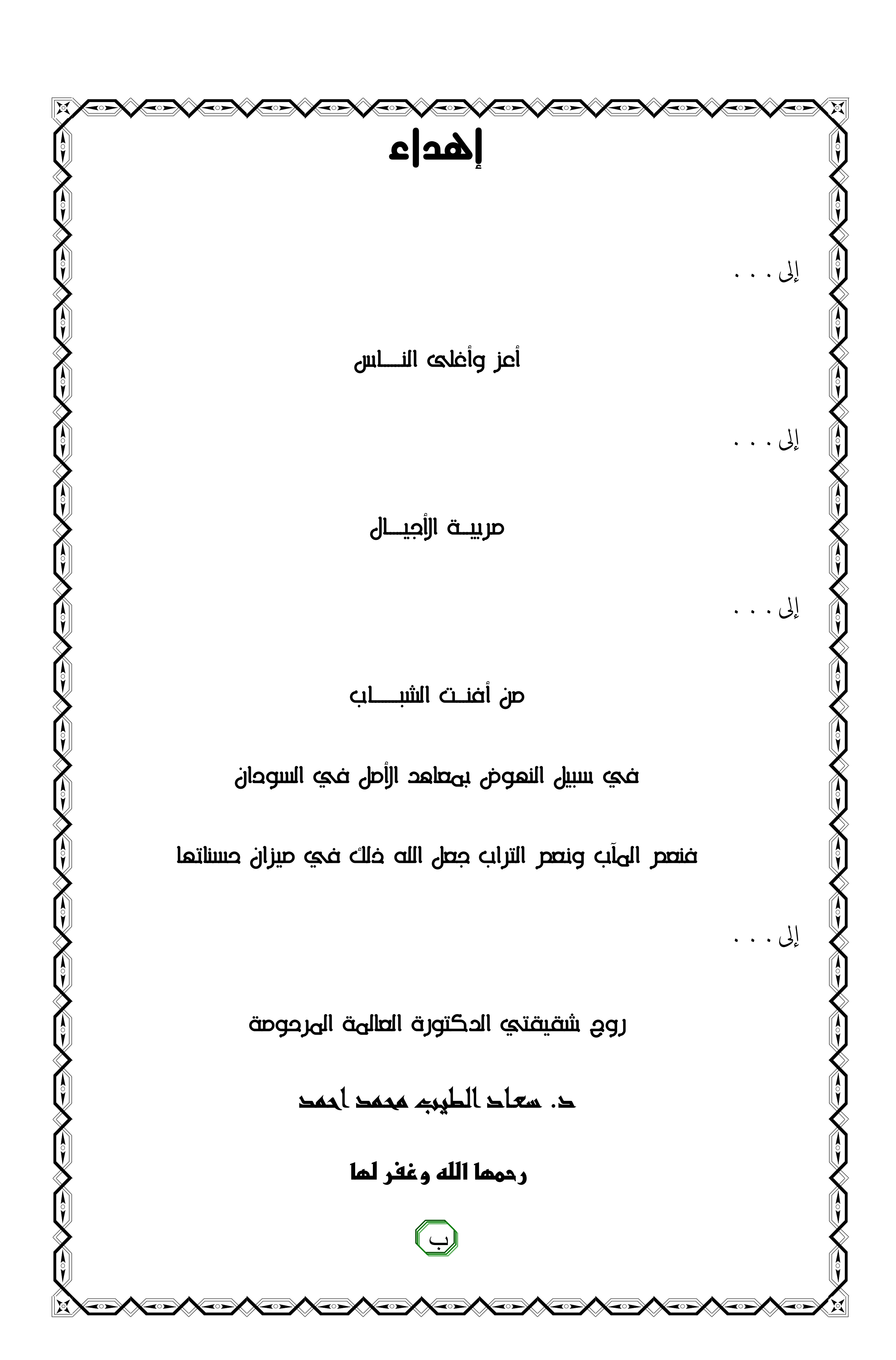
عام ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م



بسم الله الرحمن الرحيم

(وَقُل رَبِّ زِدْنِي عِلْماً)

صدق الله العظيم



إهداء

إلى . . .

أعز وأغلى النـــاس

إلى . . .

مربيــة الأجيــال

إلى . . .

من أفنــت الشبـــــاب

في سبيل النهوض بمعاهد الأمل في السودان

فنعم المآب ونعم التراب جعل الله ذلك في ميزان حسناتها

إلى . . .

روح شقيقتي الدكتورة العالمة المرحومة

د. سعاد الطيب محمد احمد

رحمها الله وغفر لها

شكر وتقدير

الحمد لله الذي هدانا لكتابه العظيم وفضلنا بأكرم أحبائه حمداً يستجلب المرغوب من رضائه ويجعلنا من الشاكرين لنعمائه والعارفين لأوليائه و الآئه والصلاة والسلام على نبيه محمد الآمين قائد الغر المحجّ لين المرسل رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين .

قال صلى الله عليه وسلم (من لا يشكر الناس لا يشكر الله) .

قال الشاعر:

الشكر أفضل ما حاولت ملتمساً

به الزيادة عند الله والناس

أتقدم بجزيل الشكر ووافر التقدير للعالم العلامة . د . **حيدر خوجلي على** جميل تعاونه وصادق مروءته جعل الله ذلك في ميزان حسناته .

و أتقدم بالشكر أجزله والعرفان أتمه وأكمله إلى د . **محمد الجاك أحمد** / كلية الاقتصاد جامعة الخرطوم على تعاونه وكريم خلقه .

الثناء العاطر للدكتور عبد الله محمد أحمد / جامعة الخرطوم

خالص الشكر والامتنان للدكتور **بابكر دشين** المشرف على هذا البحث .

التجلّة والعرفان لأسرة جامعة امدرمان الإسلامية وأساتذتها الأجلاء .

والشكر والتقدير للابن العزيز عثمان محجوب على تعاونه لإخراج هذا البحث والأخ **سعد** الذي قام بجهد مقدر في إخراج هذا البحث .

الشكر موصول لأشقائي محمد أحمد وأزهري وليلى وإحسان الطيب والمهندس محمد توفيق على جهودهم المضنية ووقوفهم معي بكل تفانٍ ونكران ذات ولا يفوتني أن اذكر جهود أسرتي الصغيرة متمثلة في زوجي بشير الريح قسُّومة وبناتي د. سلمى ود. سمر ود. سحر ودعوات أمي العزيزة أمد الله في عمرها ومتعها بالصحة والعافية مما كان له الأثر الطيب في إخراج هذا البحث وكل من تعاون معي والشكر من قبل ومن بعد لله رب العالمين.

المقدمة

الفصل الأول: سيرة الشيخ محمد مجذوب قمر الدين

المبحث الأول: مولده أسرته تعليمه ثقافته شيوخه إحياؤه للطريقة المجذوبية الشاذلية دوره التربوي في منطقة الدامر.

المبحث الثاني: تصانيفه مجموعة ألشيخ المجذوب (الجمانة – النور الساطع– مولد اللآليء – النفحات الليلية – العقد المنظم – سر المدد والسهود).

الفصل الثاني: المديح النبوي في شعر المجذوب

المبحث الأول: ذكر الشمائل النبوية

المبحث الثاني: ذكر المعجزات

المبحث الثالث: معارضته لشعراء المديح أمثال الشيخ البرعي اليمني والإمام البوصيري.

الفصل الثالث: الفكر الصوفي عند الشيخ المجذوب

المبحث الأول: العشق الإلهي

المبحث الثاني: الرمز الصوفي.

الخصائص الفنية لشعر المجذوب

الصورة الفنية في شعر المجذوب

الخاتمة

المقدمة:

الحمد لله الملك العظيم العلي الكبير المنفرد بالعز والبقاء والإرادة والتدبير نحمده حمد عبد معترف بالعجز والتقصير واشكره على ما أعان عليه من قصد وتيسير لكل عسير واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لا مشير له ولا وزير. واشهد أن محمداً عبده ورسوله.

يعد التصوف بما له من اثر في الفكر والروح جزءاً من تراثنا الإسلامي العريق ويتصل بشخص النبي صلى الله عليه وسلم وأخلاقه التي فيها أسوة للمسلم في دينه ودنياه.

ولقى المتصوفة منذ القدم بعض المشقة نظراً لغموض عباراتهم أحياناً وما توهمهم ظواهرها من الضلال.

ومن ناحية أخرى تناوله المستشرقون فدرسوه وكان من ثمار ذلك بعض البحوث القيمة والطرق الصوفية كثيرة في السودان ومتعددة لها دورها في نشر الإسلام لعل أبرزها الطريقة الشاذلية المجذوبية لما اتسمت به من العمق لصوفي في فكرها وشعرها.

ويعد الشيخ ممد مجذوب قمر الدين شيخ هذه الطريقة الذي تغير بظهوره مفهوم التصوف ودخل به مرحلة جديدة وكان الرائد في إحياء الطريقة وابرز أقطابها وأكثرهم شعراً وبالرغم من ذلك لم ينل الشيخ محمد المجذوب قمر الدين من الدراسة والبحث ما يليق بمكانته وما اثري به الأدب الصوفي السوداني.

وذلك من باب الوفاء بحق المجاذيب وشيخهم محمد المجذوب قمر الدين أردت أن أتقدم بخطوة في طريق الدراسات السودانية المتصلة بهذا النوع من الأدب.

وقد اعتمدت على المصادر والمراجع المذكورة أخر البحث إضافة لبعض المطالعات في المجلات والكتب.

بُنِي هذا البحث على تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة.

أما التمهيد فهو تعريف موجز بالمجاذيب: أصولهم وآثارهم الأدبية وشعرهم إضافة لأبرز أعمالهم في سبيل نشر المجذوبية الشاذلية.

الفصل الأول هو عرض لسيرة الشيخ محمد مجذوب قمر الدين أطوار حياته ومكانته في بيئته وتحليل حياته الصوفية وإحيائه للطريقة المجذوبية الشاذلية ودوره التربوي في منطقة الدامر وشعره الصوفي وكذلك مجموعة الشيخ المجذوب الشعرية وابرز تصانيفه.

الفصل الثاني يتناول المديح النبوي في شعر المجذوب من خلال ذكر الشمائل النبوية والمعجزات ومعارضته لشعراء المديح مثل الشيخ البرعي واليمني والإمام البوصيري.

الفصل الثالث جاء متناولاً الفكر الصوفي عند الشيخ المجذوب وعرض في الحب الإلهي والرمز الصوفي وغيرها من الأغراض الصوفية التي تناولها المجذوب في شعره ثم خاتمة البحث.

تمهيد:

درج الباحثون في مجال الشعراء المتصوفة الاستهلال بمقدمات عن تاريخ التصوف في السودان وبعض إطلاعي على جزء منها عبر شتى المقدمات رأيت فيها غنى للباحث إلى جانب الكتب التي أرخت للتصوف الإسلامي ورأيت أن اكتفى بالإشارة إلى تاريخ المجاذيب وأصولهم ونسبهم وبيئتهم اختصاراً للطريق لهذا البحث وهو عن الشيخ محمد مجذوب قمر الدين حياته وشعره.

الحديث عن المجاذيب يقودنا بالضرورة للحديث عن أصلهم وجذورهم فهم ينتمون إلى قبيلة الجعليين وهي مجموعة عدنانية الأصل وأكثر القبائل نفوذاً تركزت على ما بين العبيدية وموقع الخرطوم الآن وتتضح شجرة المجاذيب في الوثيقة التي أختطها عبد الله النقر عن أسرة المجاذيب.

(أنا الفقير إلى الله عبد الله النقر ابن الكي أحمد ابن الفكي جلال الدين ابن الفكي عبد الله النقر ابن الفكي أحمد ابن الفكي محمد مجذوب).

ملحوظة: شجرة المجاذيب في نهاية التمهيد.

أول من عرف من أسرة المجاذيب هو الحاج عيسى بن قنديل الذي كان مقيماً بدرّو وجاب منطقة الجعليين بتجارته وقام في إحدى رحلاته بعلاج أحد ملوك كبوشية المسيحيين في الجنوب وتزوج من إحدى البيوتات المسيحية الحاكمة وهذا يوضح وضع المجاذيب الاجتماعي المتميز قبل دخول الإسلام.

ومما لا شك فيه أن المجذوبية كما تقول الروايات المحلية قد نشأت بمنطقة الدامر .

ويعتقد بعض العلماء أن المجاذيب ينحدرون مباشرة من حمد بن محمد الملقب بالمجذوب حيث استمدت الأسرة ذلك الاسم[1].

وجاء في وثائق المجاذيب أن محمد هو أول من أطلق عليه لقب المجذوب في الأسرة وتذكر أحدى الوثائق أنه مصطفى ابن الفقيه حمد بن محمد المجذوب وفي وثيقة أخرى أن أول من أطلق عليه هذا اللقب هو حمد بن محمد المجذوب.

أما أول الطرق الصوفية دخولاً إلى السودان فيرى يوسف فضل حسن (أن أول طريقة صوفية دخلت السودان هي القادرية الجيلانية التي قامت على يد الشيخ القادر الجيلاني في القرن الثاني عشر الميلادي من (١١٦٦ – ١٠٧٧م) ثم دخلت إفريقيا في القرن الخامس عشر وفي سنة ١٥٧٧م جاء تاج الدين البهاري البغدادي الصوفي القادري خليفة الشيخ عبد القادر الجيلاني من مكة حيث كان حاجاً وأدخل القادرية في السودان ومن ثم أخذت القادرية في البلاد حتى اعتنقها الكثيرون.

ويرى عبد العزيز عبد المجيد صاحب كتاب (التربية في السودان) أن تاج الدين البهاري هو أول من أدخل الطريقة القادرية إلى السودان وأنه اتخذ ه خلوة في (وادي شعير) وهي في جزيرة سنار مدة سبعة سنوات وسلك خمس رجال بشروا من بعده بالطريقة القادرية في السودان فظهرت خلاوى التصوف أينما ظهرت الطريقة وعليه يمكن القول: (بان لأبواب الطرق الصوفية مدخلين كبيرين في السودان هما القادرية والشاذلية)[1].

---

[1] نعوم شقير – جغرافية وتاريخ السودان – دار الثقافة بيروت – الجزء الثالث ١٩٦٧م ص٥٧

[1] عبد العزيز عبد المجيد – التربية في السودان – المطبعة الاميرية القاهرة ١٩٤٩م ص٩٨ –١٠٠

واصل الطريقة المجذوبية أنها امتدادُ حقيق للطريقة الشاذلية ولذلك يقال الطريقة الشاذلية المجذوبية، واعتنق شيوخ المجاذيب أولاً الشاذلية وتمسكوا بها وواصلوا في طريقها حتى ظهرت الطريقة المجذوبية بصورتها المعروفة.

وللحديث عن الشاذلية نفسها وبداية دخولها إلى السودان فيقرر يوسف فضل حسن:

- أن الشاذلية وفق رواية - لم تثبت صحتها بعد - قد دخلت السودان أول مرة قبل عصر الفونج على يد حمد أبي دنانة) [2]

والشاذلية تنسب إلى الشيخ حمد أبو دنانه وهو صهر عبد الله بن محمد وسليمان الجزولي مؤسس الطريقة الشاذلية في المغرب ويروى انه أتى إلى السودان في القرن الخامس عشر واستقر في (سقادي) غرب المحمية و إذا أخذنا بهذه الرواية.

- تكون الشاذلية أول الطرق انتشارا في السودان[3].

ويقول حسن الفاتح قريب الله تنسب الطريقة الشاذلية إلى الشيخ أبي الحسن الشاذلي المولود (بشاله) في تونس (٥٩٣هـ - ١١٩٦م).

وقد توفي أبو الحسن الشاذلي بجميرا في صحراء عيذاب في اقرب المناطق محاذاة للسودان من الصعيد المصري عام ٦٥٦هـ - ١٢٥٨م.[4]

أما بداية دخولها إلى السودان (فقد دخلت قبل قيام مملكة الفونج أي أنها أول طريقة عرفت طريقها إلى البلاد إلا أن هذه الروايات لم تفصح شيئاً عن

---

[2] بشير كوكو حميدة لمحات من تاريخ المجاذيب - بحث لنيل درجة الشرف كلية الآداب جامعة الخرطوم - المطبعة الأميرية القاهرة ١٩٧١م ص٨٦ - ٨٧

[3] عوض السيد الكرسني (المجذوبية والمكاشفية طريقتان صوفيتان في السودان) بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير كلية الآداب جامعة الخرطوم ١٩٨٢م ترجمة أسماء عبد الرحمن ص٩٥.

[4] حسن الفاتح قريب الله - التصوف في السودان إلى نهاية عصر الفونج - رسالة ماجستير - جامعة الخرطوم ١٩٦٥م.

مصيرها ويبدو أن الشيخ خوجلي بن عبد الرحمن قد اهتدى بتعاليمها ثم انتقلت إلى شيخ المجذوبية حمد بن محمد المجذوب (١٦٩٣ – ١٧٧٦م) وبعثت أضوائها من الدامر حتى الآن واشتهرت الطريقة باسم المجذوبية)[1].

وأسس حمد بعد عودته من مكة فرعا للشاذلية وسميت طريقته بالمجذوبية، وكما أسلفنا ينسب دخول الشاذلية إلى السودان الشيخ حمد أبو دنانة أما الشخص الثاني ألذي له صلة بنشاط الشاذلية فهو عبد الله الشريف الفاسي الذي سلك الطريق على الشيخ أحمد بن ناصر بالحجاز وتذكر روايات القرنين السادس والسابع عشر أنه لم يظهر أي تأثير للشاذلية وإتباعها لسلطنة الفونج ويأتي هذا أساساً بسبب سيطرة وسيادة الطريقة القادرية آنذاك.

وقد بدا تأثير الشاذلية يظهر إلى الوجود في الجزء الأول من القرن الثامن ع شر أي بعد الانهيار السياسي لدولة الفونج وتجزؤ الطريقة القادرية[2].

أما الروايات الأخرى فقد جاء في روايات القرن الثامن عشر أن الشاذلية بدأت مع كل من حمد بن المجذوب الذي سلك الطريق بالحجاز على الشيخ علي الدرواي وخوجلي بن عبد الرحمن المتوفى عام ١٧٣٤م الذي سلك الطريقة على الشيخ احمد التنبكتاوي الفلاني[3].

وما عرف عن تصوف خوجلي انه كان خليطاً من القادرية والشاذلية مما يوحى بأن القادرية كان لها وزنها بأواسط السودان عند نهاية القرن السابع عشر وقد جمع خوجلي بين الطريقتين[1].

---

[1] محمد ود ضيف الله بن محمد الجعلي الفضلي– طبقات ود ضيف الله في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان – المطبعة المحمودية التجارية نشر صديق طبع ونشر منديل ١٩٣٣م، ص ١٨٨ تحقيق يوسف فضل.

[2] عوض السيد الكرسني – المجذوبية المكاشفية ص٩٥

[3] طبقات ود ضيف الله وتحقيقي يوسف فضل حسن ص١٨٨ المطبعة المحمودية التجارية.

[1] عوض السيد الكرسني– المجذوبية والمكاشفية طريقتان صوفيتان في السودان ص ٨٦

(ومما أختلف فيه الباحثون ما يروى بان الطريقة الشاذلية كانت اسبق الطرق دخولاً إلى السودان وأولها إنتشاراً به فقالوا: أن أحدى بنات أبي عبد الله محمد بن سليمان الجزولي تزوجت حمد أبي دنانة الذي نزح مع ابنة في السودان وسكنا (سقادي) غرب المحمية عام١٤٤٥م أي قبل عصر الفونج وحينئذ عرف الناس الطريقة الشاذلية)(2).

وقد بدا النشاط الديني للمجاذيب منذ أيام الحاج عيسى بن قنديل أيام سلطنة الفونج ويتضح ذلك من الروايات التي وصفت عدداً من أفراد الأسرة بأنهم كانوا فقهاء مثل الشيخ عيسى الذي بعلاج الجنون وابنه الشيخ محمد الفقيه الذي كان يقوم بتدريس صغار السن في خلوته بدرّو الفقيه عبد الله الملقب بـ(راجل درّو) والشيخ حمد بن عبد الله مؤسس مدينة الدامر ومحمد بن حمد المشهور بالمجذوب والذي ذهب في جذبة أثناء أدائه للشعائر الدينية حيث يردد أثناء جذبته عبارة لا إله إلا الله حتى يقع في الجذبة ثم يبدأ في الصياح بعبارة (حي قيوم)(3) وقد كانت الخلوة هي الوحدة التعليمية التي برزت خلال عهد حمد بن عبد الله مؤسس مدينة الدامر حيث درس فيها بنفسه.

والطبيعة الدينية للأسرة هي الانعزال للتعبد والتنسك في مدينة وقد أنقسم التعليم في تلك الفترة إلى مراحل هي:

١- الخلوة (مدرسة نار القرآن).

٢- مدرسة نار العلم.

٣- مدرسة الرمز الصوفي.

---

(2) سن الفاتح قريب الله – التصوف في السودان ص٢٦١

(3) عوض السيد الكرسني – المجذوبية والمكاشفية طريقتنا صوفيتان في السودان ص٨٦

أذن كانت الخلوة هي المرحلة التعليمية الأولى وتمتد فيها الدراسة لثلاث سنوات فيتعلم فيها الطالب القرن قراءة وكتابة ويقوم بالتدريس فيها قدامى الطلاب كجزء من نفقات تعليمهم ويكون الشيخ مسئولا مع زملائه المختارين بين كبار السن عن التدريس وتتم دراسة الفقه والعلوم الدينية واللغة العربية والمنطق والشعر والقواعد والأدب وكل مدونات المذهب المالكي كرسالة– المختصر – أبي زيد القيرواني ومختصر خليل الموطأ ومن أشهر معلمي هذه المرحلة الوسطى حمد بن محمد وابنه عبد الله النقر والفقيه الطيب ابن أحمد حمد وابنه أحمد[1].

والمرحلة الثالثة هي مدرسة الفكر الصوفي والخلوة هي أقدم نظام تعليمي لأسرة المجاذيب بدأت منذ أيام الحاج عيسى عبد الله (راجل درّو).

وقد دخلت الصوفية السودان قبل عصر الفونج إبان مملكة سنار لأنها انتشرت في البلاد المجاورة والتي كان السودان على صلة بها كالحجاز. وكما سلف فقد دخلت الصوفية السودان قبل الفونج لان الكثير من العرب المهاجرين في تلك الحق حملوا معهم صوفيتهم، ويرى بعض الصوفية أن عبد الله الشريف أول رائد للشاذلية كما يقول حسن قريب الله: (من الراجح عندي أن يكون عبد الله الشريف هو أول رائد للشاذلية وليس ابنه الشريف حمد أبو دنانة فهو من الإشراف وليس رائد للشاذلية).

ويتدرج سند الطريق الشاذلي حتى تصل إلى الشيخ محمد المجذوب ويقول قريب الله (ثم خلف عبد الله الشريف في رعاية الطريقة شيخان هما خجلي عبد الرحمن وحمد بن المجذوب)[1].

---

[1] ود ضيف الله – الطبقات ص٢٧

[1] حسن الفاتح قريب الله ، التصوف في السودان إلى عصر الفونج ص١٢٤.

ومن أبناء الشيخ حمد الشيخ قمر الدين وكان شاذلياً كوالده يواظب على ألأوراد الشاذلية فلما توفى خلفه في رعاية الأتباع ابنه الشيخ محمد مجذوب ورغم صغر سنه (سبع وثلاثون سنة) كان له فضل كبير في نشر الطريقة الشاذلية وتوفي محمد مجذوب قمر الدين دون أن يكون له أبناء سوى عائشة فأوصى بالخلافة من بعده لأبن أخيه الشيخ الطاهر بن الشيخ الطيب بن قمر الدين وكان وقتها غائباً عن سواكن ولما قدم بعد ثمانية وعشرين عاماً قال له الشيخ يس تلميذ الشيخ محمد المجذوب : أنت خليفة محمد المجذوب.

وقد قام الشيخ محمد المجذوب بإحياء الطريقة المجذوبية الشاذلية رؤيا وقف بها بين يدي رسول (ﷺ).

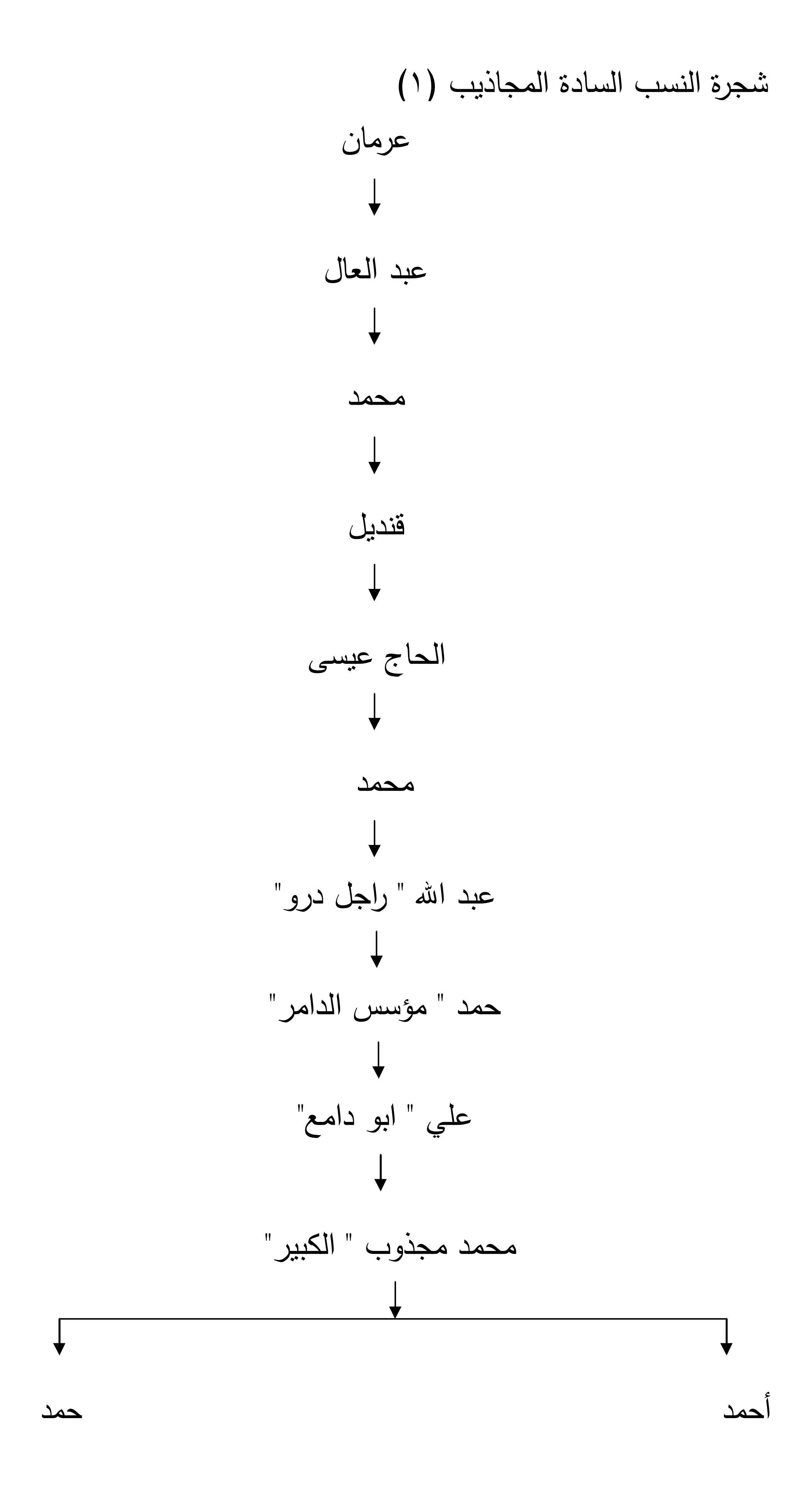
واستطاع أن يصل بالفكر الصوفي إلى قمته إضافة للتراث الثقافي الذي خلفه وآثاره في نشر الثقافة الإسلامية.

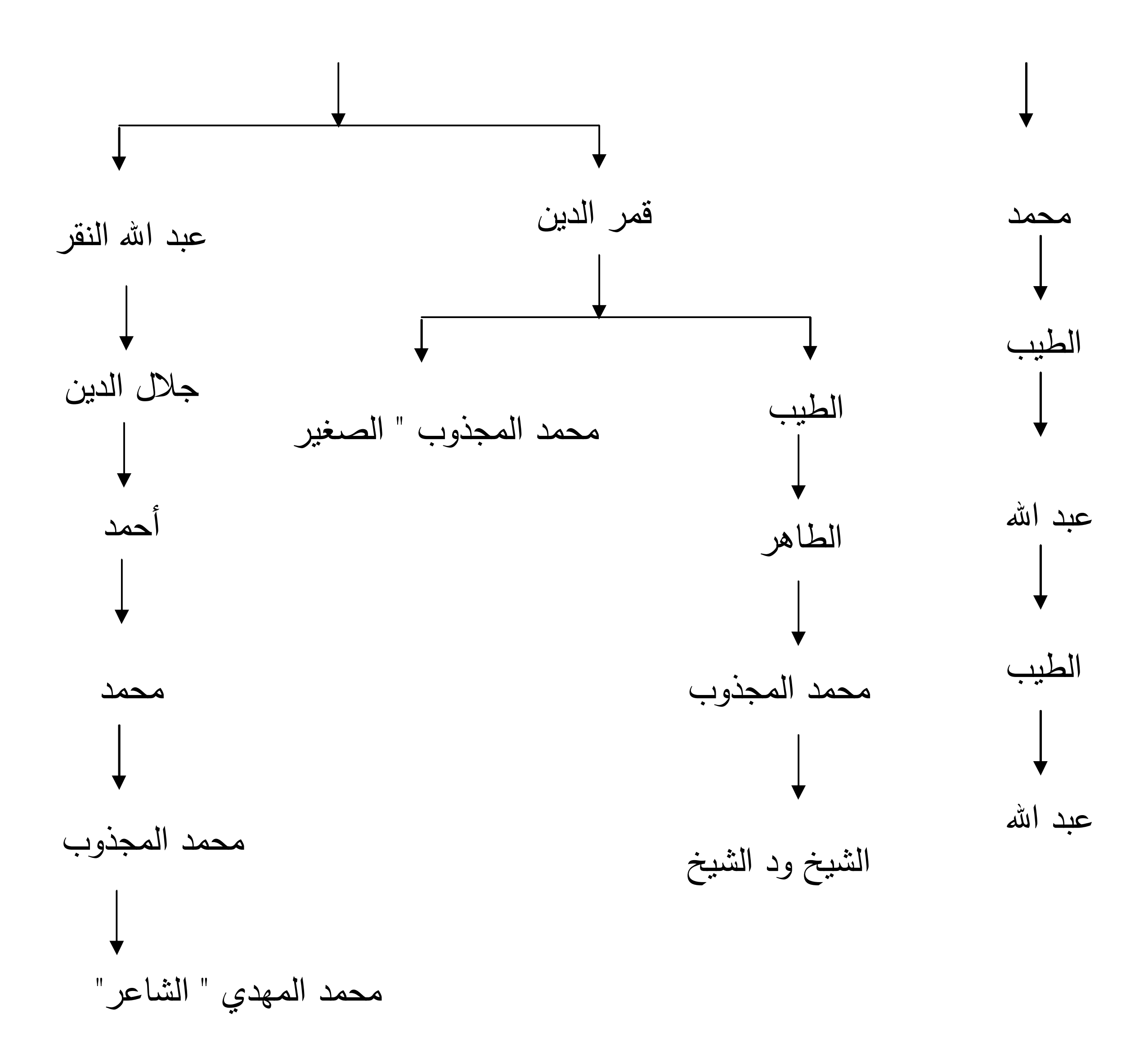
وخلاصة القول، مر المجاذيب بثلاث مراحل بدأت بجدهم الحاج عيسى بن قنديل الذي اعتنق القادرية ثم تشذلوا حينما اعتنق حمد بن مجذوب الشاذلية وأسس لها فرعاً في السودان وأخيراً أسسوا ما يسمى الطريقة الشاذلية المجذوبية وقد لعبت خلاوى المجاذيب دوراً في نشر الثقافة الإسلامية وهي كغيرها بدأت كنشاط تعليمي في عهد حمد بن عبد الله مؤسس الدامر ثم توسعت وضمت بين جنباتها طلبه من مختلف أنحاء السودان تم تقسيمهم على حسب قبائلهم وأمصارهم لان فيهم من لا يجيد اللغة العربية(1).

(1) عوض السيد الكرسني – مجلة الثقافة السودانية ورواية الاستاذ مجذوب النقر للاستاذ الكرسني العدد السابع ١٩٨١م ص١٢-٢٢.

كما أن خلاوى المجاذيب كانت موضع للضيافة وإطعام أبناء السبيل والتجاور والحجاج، وقد بني المجاذيب خلاويهم على نفقتهم الخاصة فلهم أراضيهم وتجارتهم التي تدر عليهم الأموال والتي ينفقونها على هذه الخلاوي.

شجرة النسب السادة المجاذيب (١)




محمد
الطيب
عبد الله
الطيب
عبد الله
قمر الدين
الطيب
الطاهر
محمد المجذوب
الشيخ ود الشيخ
محمد المجذوب " الصغير
عبد الله النقر
جلال الدين
أحمد
محمد
محمد المجذوب
محمد المهدي " الشاعر"

الفصل الأول

المبحث الأول

سيرة الشيخ محمد المجذوب قمر الدين – رضي الله عنه

سيرة ذاتية:

هو الشيخ محمد المجذوب الصغير* بن الفقيه قمر الدين بن الفقيه حمد بن الفقيه محمد المجذوب (الكبير بن علي بن حمد بن عبد الله (راجل درّو) بن محمد بن الحاج عيسى بن قنديل بن حمد بن عبد العال بن عرمان أما نشأته رضي الله عنه فيحدثنا الشيخ محمد الطاهر المجذوب في كتاب (المناقب) قائلاً " فقد نشا في بيت علم مجد ولعم وولاية وقد لاحظت منذ نشأته عيون العناية إلى أن تكمّل وصار سيد ذوي العرفان... فكان وجهة يتوقد ذكاء ونوراً ولسانه مصوناً فلا يحكي هجراً ولا يقول زوراً وقلبه يقظان نيّر البصيرة...

كان منذ صغره يتشوق للأمور (العليّة) وناهيك من أنه طلب من والده أن يرّى يقظة الذات المصطفوية ، نشأ وترعرع في كنف والده الفقيه قمر الدين وجده الفقيه حمد عليّ الشأن ... وأعمامه أولئك الأقمار الذين فضلهم لا ينكر، كالوليّ الفقيه عبد الله النقر وغيره من أبناء الفقيه حمد...[1].

مَنْ تلق منهم تقل لاقيت سيدهُم

مِثل النجوم التي يسري بها السارِي[2]

ويحدثنا الشيخ محمد المجذوب جلال الدين في كتابه (مختصر المناقب) عن سيرة هذا الشيخ الجليل قائلاً: وكم له من جدّ يقضي ليله وهو ساجد وراكع

---

[1] الوسيلة إلى المطلوب في مناقب الشيخ المجذوب جمع ولده الفاضل المسمى باسمه محمد الطاهر المجذوب ط١ مطبعة التقدم العلمية بمصر سنة ١٣٣٢هـ – ص ٢٢١.

[2] نفس المرجع السابق ص ٥–٦

كالفقيه محمد المجذوب جدّ المجاذيب وأخيه موسى العذب ووالدهما عليّ أبي دامع الذي كانت عيناه من خشية الله تدمعان... والفقيه حمد مؤسس الدامر وأبيه الفقيه عبد الله محمد بن الحاج عيسى صاحب الجاه فلقد كانوا كما قيل:

إذا ما الليل اظلم كابدوُه

فيفر عنهموُ وهم ركوعُ

أطار النَوم خوفهموُ فقاموُا

وأهل الأمن في الدُنيا هجوعُ

ونسبه المبارك ينتهي إلى عم سيد الناس، الشهم المقدام سيدنا العباس.[1]

أما مكان ميلاده، فقد ولد الشيخ محمد المجذوب (ببلدة المتمة التي حصل له بها التنوير سنة ١٢١٠هـ[2] فوقع له فيها الكرامة الشهيرة.

ويحدثنا الشيخ محمد الطاهر المجذوب عن ميلاد هذا الشيخ قائلاً:- (ولد رضي الله عنه - في العشر من القرن الثالث عشر من الهجرة النبوية، وتوفي سبع وأربعين من قرنه الذي ولد فيه، فعلى هذا يكون عمره الميمون سبعاً وثلاثين من السنين وضريحه المعمور بالأنوار في موضع آبائه المشاهير وذلك بقريتهم المشهورة بالدامر لفظاً والثامر معنىً وهي على ساحل نهر النيل)[3].

---

[1] محمد الطاهر المجذوب – الوسيلة إلى المطلوب في مناقب الشيخ المجذوب ص١٠

[2] نفس المرجع ص١٠

[3] نفس المرجع ص١١

وقد جاء انتقاله لبلدة الدامر لكي يتعلم بمساجدها، وقد تعلم من أئمة الدين الكرام كتاب الله العزيز، وحفظه حفظاً جيداً في زمن وجيز ، وتعلم ما يجب تعلمه من دين الإسلام.

أما صفاته وأخلاقه فيقول عنه الشيخ مجذوب جلال الدين (أما حليته الظاهره فتقول: كان رضي الله عنه- مربوع القامة، أدعج العينين في مؤخرهما حمرة يسيرة، حسن الوجه ذا وسامه، محدودب الأنف ، وسيع الصدر بائن العنق ذي البهاء والجمال عظيم الرأس شديد سواد الشعر،.... كث اللحية كثير شعر العارضين، كان يقص شاربه ولا يأخذ شيء من لحيته، ظهر الشيب في لحيته فاستبشر به وهش إليه، وسُر به وإذا هو علامة الوقار والجلال)[1] ونلاحظ السمات النبوية في صفاته وأخلاقه (وقد كان نبوياً يقتدي بالنبي (صلى الله عليه وسلم) في جميع أفعاله، أما أخلاقه (فقد كان حسن الخلق لا يمل جليسه من مؤانسته ولا يشبع من رؤيته حتى الحسود، .. وكان مجلسه ذا وقار وحشمة تتنزل فيه الرحمات من عظيم النوال.... ومن المتفق ان جليسه... يجد عنده سكوناً وإطمئناناً يرد قلبه إلى الله، وتنعدم خواطره الرديئة وما رآه احد إلا ذكر الله، وكان الخاصة والعامة يسارعون إليه ويتبركون بتقبيل راحته فيجدون كل ترحيب وإقبال..وكان إذا جلس لتفسير القرآن تطيّب ولبس أحسن الثياب وتعمم ولبس الطيلسان* وتبخر بالعود، وكان لا يطيق التفسير خشية، وربما تغير لونه في المجلس مراراً إذا اشتد عليه الحال....[2].

---

[1] نفس المرجع ص١١

[2] محمد الطاهر المجذوب- الوسيلة إلى المطلوب في مناقب الشيخ المجذوب ص ١١، ١٢.

كساء مدور اخضر من صوف يلبسه الخواص من العلماء والمشايخ – بطرس البستاني محيط المحيط – مطبعة بيروت ١٩٨٧م مادة طلس ٢، ١٢٨٨.

وكان رضي الله عنه يقتدي بالرسول (صلى الله عليه وسلم) في جميع أقواله وأفعاله وأحواله وقد كان كما قيل عنه (الوارث لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) في الأقوال والأفعال والأحوال المتأدب بآداب الرجال، مظهر طريق أهل الله بعد خفاء أنوارها، ومبين المعارف بعد إنتشارها، الدال إلى الله على علم وبصيرة، واحد أهل زمانه علماً وحالاً ومعرفة ومقالاً، إمام السالكين ومعراج العارفين، المربىّ الجامع والحال والهمة والمقال وهذا مذهب الصوفية كما بينه السراج الطوسي في اللمع وأبو عبد الرحمن السلمي في طبقات الصوفية وأبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء.

وفي نسب الشيخ محمد المجذوب قمر الدين، واتصاله بالسيد العباس ابن عبد المطلب عم الرسول (صلى الله عليه وسلم)، (وهي السلسلة الذهبية المرضية الباهيه البهيه، التي قال في حقها خير البرية، الشرف لي ولعمي العباس بن عبد المطلب مني وأنا منه)[1] .

أما اتصال الشيخ المجذوب به، فنقول:

" هو الأستاذ الجليل الحسيب النسيب العارف بربه الشيخ محمد المجذوب ابن الفقيه قمر الدين بن الفقيه حمد ابن الفقيه عبد الله الشهير" راجل درّو " ابن الفقيه محمد بن الحاج عيسى بن قنديل بن حمد عبد العال ابن عرمان بن ضواب بن غانم حميدان بن صالح بن مسار بن مكروم بن قضاعه ابن حرقان بن مسروق بن احمد اليماني بن الجعلي بن إدريس بن قيس ابن يمن الخزرجي" نسبه إلى أمه من الخزرج ابن الحميري، نسبه حمير ابن مسعود الأنصاري بن الفضل بن عبد الله ابن العباس عم سيد الناس ابن عبد المطلب بن هاشم ابن

---

[1] نفس المرجع السابق ص ١٠

عبد مناف بني قصي بن كلاب بن مرة بن لؤي بن غالب بن فهر ابن مالك بن النضر بن كنانة بن خُزيمة بن مدركة بن مضر بن نزار بن سعد بن عدنان*[*] هكذا كما قال الشيخ محمد الطاهر المجذوب.

(هذا هو النسب المتفق عليه المحفوظ عن الآباء جد بعد جد، والقصد سياقه التعريف للشيخ المجذوب- رضي الله عنه - وامتثالاً لقوله (صلى الله عليه وسلم): تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم... ولا يقصد بذلك الفخر معاذ الله من ذلك كيف والبشر كلهم من بني ادم وآدم من تراب ولا فخر إلا لمن فضله الله بالعلم والتقوى)[1].

ومن أبناء الفقيه حمد الشيخ قمر الدين والد شاعرنا، وقد كان شاذلياً كوالده يواظب على دلائل الخيرات وأوراد الشاذلية، فلما توفى خلفه في رعاية الأتباع ابنه الشيخ محمد مجذوب المتوفى سنة ١٢٤٧هـ، وقد كان الشيخ محمد المجذوب المتوفى سنة ١٢٤٧هـ على الرغم من صغر سنه " سبع وثلاثون سنة " فضل كبير في نشر الطريق الشاذلي في سواكن وضواحيها، وعلى يده أُحيت الطريقة الشاذلية . وتوفى الشيخ محمد المجذوب قمر الدين دون أن يكون له من الأبناء غير عائشة، فأوصى للخلافة من بعده لابن أخيه الشيخ الطاهر بن الشيخ الطيب بن قمر الدين. وكان الشيخ الطاهر آنذاك غائباً عن سواكن، فلما قد بعد ثمان وعشرين عاماً قال له الشيخ ياسين تلميذ الشيخ محمد المجذوب ومقدمه في الطريق: أنت خليفة الشيخ.

---

[*] محمد مجذوب الطاهر الوسيلة إلى المطلوب ص١٠

[1] المرجع نفسه ص١٠

تعليمه وثقافته وشيوخه ودوره في منطقة الدامر – تصانيفه إحياؤه للطريقة المجذوبية الشاذلية:

تعتبر الخلوة الوحدة التعليمية الأولى التي برزت خلال فترة المجاذيب حيث تمتد الدراسة فيها ثلاث سنوات حيث دراسة الفقه والعلوم الدينية واللغة العربية والمنطق والشعر والقواعد والأدب العربي وكل مدونات المذهب المالكي كالرسالة والمختصر وموطأ الإمام مالك مع حفظها.

ويتبع نظام الجامعة الأزهرية بتدريس كل كتاب في حلقه منفصلة تحت إشراف علماء خاصين ويشرف المعلم إشرافاً مباشراً على تلاميذه لمدة قد تتجاوز سبع سنوات وتعد المقدرة على حفظ القرآن وتجويده ومعرفة القراءة والكتابة خطوة للمرحلة الثانية، يعطى الناجحون إجازة إكمال المرحلة حيث نتيح لحاملها تدريس المواد التي درسها ومثال لهذه الشهادة الإجازة التي منحت لمحمد مجذوب قمر الدين من قبل معلمه إبراهيم السويدي التي جرت على هذا النسق.

(ببركة الله قمت بتفويض سيدي رغم أنه أغز مني علماً وليس مستغرباً تفويضه ما دمنا نهدف إلى الاستفادة من علم الله ورحمته وقد فوضته لتدريس المذاهب الأربعة والحديث ومدارس الفقه وعلم اللغة) ومن أشهر معلمي المرحلة الوسطى نار العلم حمد بن محمد الذي ورد ذكره في كتاب الطبقات وابنه عبد الله النقر والفقيه الطاهر بن عبد الله النقر ومن تلقى تعليمه في الأزهر الشريف[1].

---

[1] عوض السيد الكرسني – المجذوبية والمكاشفية طريقتان صوفيتان في السودان ص٤١

أما المرحلة الثالث فهي مدرسة الفكر الصوفي وتعتبر هذه المدرسة أقدم نظام تعليمي لأسرة المجاذيب حيث بدأت منذ أيام الحاج عيسى بتسليك عدد كبير من الأفراد في الصوفية وتتطلب هذه المرحلة مؤهلات خاصة لدخولها كالتقوى الدينية والصبر والقناعة بالعقيدة وغيرها مما يحدده الشيخ وتنظيم المؤسسة مسئولية الشيخ الكبير ويمول النشاط الفكري أفراد الأسرة الذين يجمعون بين التجارة وامتلاك الأرض.

وعندما نتحدث عن الشيخ المجذوب الصغير نؤكد أن أحمد بن إدريس هو أحد أساتذة المجذوب الصغير وقد لعب دوراً هاماً في تعليم التلاميذ الذين قاموا فيما بعد حركات تجديدية عظيمة وفي شرح المجذوب لعلاقته بأحمد بن ادريس قال: " إن أحمد بن إدريس هو شيخي " وفي رد له على سؤال ألقاه عليه أحد تلامذته المجاذيب كان قد سأله عمن قام بتسليكه الطريقة هل هو أحمد بن إدريس؟ قال لا ولكنه شيخي لكلمة قالها لي في بداية حياتي في حيرتي بشان الخلافات التي كانت سائدة بين رجال الدين آنذاك والذين كانوا يعظمون أعمالهم التي اعتبرها أعمالاً عادية قال المجذوب فسألت أحمد بن إدريس عن هذه الحيرة فرد علي بالرغم من أنك في بداية الطريق إلا أن مرشدك وهاديك هو النبي (صلى الله عليه وسلم) أما هؤلاء فمرشدهم الشيوخ والأولياء[1].

---

[1] محمد الطاهر المجذوب- الوسيلة إلى المطلوب ص ١٧٣

لم يكن هناك ادعاء من الادارسة بان المجذوب الصغير كان أحد تلامذتهم وحتى الختمية الذين كانت لهم صراعاتهم الخطيرة مع المجذوبية في شرق السودان آنذاك لم يدعوا مثل ذلك الادعاء وحتى اليوم تعتبر العلاقة حسنة بين الادارسة والمجاذيب ويتضح ذلك في خطاب بتاريخ ١٩٢٩م – ١٣٥٠هـ متبادل بين شيوخ الادارسة باليمن وأحمد جلال الدين من المجاذيب يساله أن يرسل له بعض كتابات الشيخ المجذوب كبركه موضحاً أن المجذوب كان صديقاً لوالده وتربطه علاقة حميمة به[1].

لم يسجل في مصادر المجاذيب أن محمد الصغير قد قضى وقتاً بمكة إلا زيارات عارضة لصديقه أحمد بن ادريس ومن هذه الرواية يتضح أن أحياء المجذوبية لا يعتبر مستشقاً من تعليم أحمد ابن ادريس كالرشيدية والختمية والادريسية والسنوسية...الخ.

** ام مذهبه الديني وتصوفه فقد أخذ المجذوب الصغير عن والده الفقيه قمر الدين الطريقة الشاذلية واشتغل بأورادها بكرة وعشيا وكان يعشق المصطفى (صلى الله عليه وسلم) ويحن لرؤيته عليه الصلاة وأتم التسليم وكان والده يراقبه فيجيبه بما تقر عينه ويقسم على ذلك فلا يسعه إلا السرور والابتسام[2].

ثم رجع بعد إلى مسقط رأسه المتمة وجلس فيها للتدريس فانتفع الجم الفقير بعلمه النفيس كان رضي الله عنه نزوع القلب إلى زيارة الرسول (صلى الله عليه وسلم) والمثوى بمدينته المنورة فاتفق ان مرّ بالمتمة في ذلك الوقت الأستاذ الجليل محمد عثمان الميرغني المكي رضي الله عنه متوجهاً للأقطار الحجازية فانتهز الشيخ المجذوب تلك الفرصة فتوجه معه إلى أن وصل مكة المكرمة ثم

---

[1] الوثائق المجلد الثالث ص٧

[2] محمد الطاهر – الوسيلة إلا مطلوب في مناقب الشيخ المجذوب ص١٢

منها إلى المدينة المنورة وقال المجذوب " ثم اقبل على رجل من العارفين اسمه إبراهيم السويدي وجعل يعلمني آداب المواصلة المحمدية واخبرني أنه مأمور بذلك من حضرة خير البرية[1].

يقول الشيخ عن نفسه " من منح الله عليّ أن جعل في قلبي سبعين الف نقاره، وكل نقارة تفرغ في قلبي علوماً واسراراً غير التي أعهدها في الأولى.

وقد كان كما قيل عنه " الوارث لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) في الاقوال والافعال والاحوال المتادب بآداب الرجال مظهر طريق اهل الله بعد إخفاء أنوارها ومبين المعارف بعد استتارها الدال على الله على علم وبصيرة.

واحد اهل زمانه علماً وحالاً ومعرفة ومقالاً امام السالكين ومعراج العارفين المربي الجامع بين الحال والهمه والمقال وهذا هو مذهب الصوفية كما بينه السراج الطوسي[2].

** واشتغل الشيخ بالتأليف فاخرج للناس كتبا شتى في بديع التصانيف وهي كثيرة فلو أخذنا في عدها لضاق المجال عن ذكرها ولكن يمكن القول بان الشيخ قد ملك أزمة البلاغة وكان لحلو الألفاظ حين الأسلوب جميل الصياغة وفي الحديث عن رغبته في وزيارة المصطفى (صلى الله عليه وسلم) يحدثنا الشيخ المجذوب جلال الدين قائلاً أقام رضي الله عنه بالمدينة تسعة أعوام ثم أراد ربك أن ينفع به أولئك القوم أعني ساكني سواكن الذين صاروا ببركته من الأتقياء العباد واخذوا الطريقة الشاذلية على يديه فمكث معهم حوالي العامين يصلح من شأنهم حتى استناروا بنوره السني وأسس لهم زاوية مباركة لا تزال تقام فيها

---

[1] نفس المرجع السابق ص ٣ –١٨

[2] محيط المحيط مادة " أطلس " ١٢٨٨/٢

الصلوات حتى اليوم ثم خرج منها قاصداً كعبة القصاد الدامر في يوم الاثنين لسبع ليال بقين من شعبان عام ١٢٤٦هـ أقر اعين اهله الاكرمين الامجاد[1].

وفي الحديث عن الطريقة الشاذلية المجذوبية ذكرنا ان أحياء الطريقة قام على يد مجذوب الصغير وبعملية الأحياء استطاعت الطريقة أن تزدهر وأن تجد لها متنفساً في جميع أنحاء السودان ولا شك ان الشيخ الصغير، وحين أختار المجذوب سواكن كانت ترزح تحت إدارة حاكم جده العثماني وكان له ممثلون لجمع الضرائب وكان على عهده يدور الصراع بين تجار الحضارمة المهاجرين من حضرموت والارتيقا " قبائل البجة السودانية " وهم من الطبقة العالية في المنطقة بينما يسيطر الحضارمة على التجارة وكان الحضارمة من أنصار الطريقة الختمية في السودان وقد دخل المجذوب الصغير معترك السياسة واصبح صاحب سلطة بين الارتيقا والحسناب وزنجر في الوسيلة أن الأرض التي تنبت عليها زاوية المجذوب كانت هدية من إبراهيم القاضي ومواد بناءها هدية من حمد الحسنابي وكان تلاميذه في سواكن افراد اسرة عثمان دقنة أحد زعماء المهدية المشهورين مثل على وابوبكر والفحل وابن رشيد من قبيلة الكميتاب والفضل بن عبد الله واحمد عبد القادر سالم من الارتيقا ومحمد بن طوكراوي وخضر مفتي سواكن وجلهم يمثلون الاسر الثرية التي كانت تعمل بالتجارة وقد أدت علاقته بهذه المجموعات إلى إنغماس المجاذيب في الصراع على السلطة بسواكن ومن ثم بدت بذور الصراع بين الختمية والمجذوبية في الشرق. وفي الختام أؤكد أن ارتقاء المجاذيب إلى مصاف مراكز القوى جاء نتيجة لتصدع وإنهيار سلطنة الفونج في النصف الثاني من القرن السابع عشر

---

[1] التصوف الإسلامي في الادب والاخلاق زكي مبارك الجزء مبارك الجزء الاول ط٢ دار الكتاب العربي – مصر ١٩٥٤م ص٧١

ولا يفوتني أن انوه بأهمية السمعة الدينية الطيبة للمجاذيب التي استخدموها في تسهيل نشاطهم التجاري وقد استمد المجاذيب نشاطهم الديني من خلاوي علمائهم الأصوليين في شمال السودان وقد أنشاوا علاقة تربط بينهم وبين الطريقة القادرية التي أسست على منهج الشيخ عبد القادر الجيلاني وعليه استطاعت الأسرة الحفاظ على علاقة وطيدة مما ساعدهم على نشاطهم التقليدي.

أحياؤه للطريقة المجذوبية:

كان إحياء الطريقة المجذوبية على يد محمد المجذوب قمر الدين الذي عاش ما بين " ١٧٩٦ – ١٨٣٢م " والمعروف بمحمد الصغير ليفرق بينه وجده محمد وكان ذلك بالحجاز عام ١٨٢٠م نتيجة رؤيا وحضرة وقف بها الصغير بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومعه الأقطاب من الأولياء كأقطاب البدوية والرفاعية والجيلانية حيث ذكر الصغير سألني رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن اختار طريقة فطلبت من أن يختار لي طريقتي فاختار الشاذلية.

والسمة الأساسية لأفكار المجذوب الصغير تأكيده لمركز الشيخ كمعلم ومرشد حيث جاء على لسانه يجب أن يكون الشيخ المرشد ضليعاً ومتمكناً من علوم القرآن والشريعة ومعرفة تامة بمعاني القرآن وعلومها التي لا بد أن تؤخذ من مصادرها الأصلية وحبك للشيخ يعتبر عماد الطريقة ومقامه أعلى مقام ويؤمن المجذوب الصغير بالخضوع والاذعان للشيخ وهو الوساطة بينك وبين الرسول وهو رسول الله وقد وضح المجذوب العلاقة التي تكون بين الشيخ والمريد بالرجوع لتعبير الشيخ الغزالي القائل (بالضرورة للمريد أن يلجأ إلى السير على نحو قويم لان طريق العقيدة مظلم قاتم وطرق الشيطان متعددة، ومن لا

يحتمي بشيخ يرشده إلى الطريق المستقيم سيقوده الشيطان إلى طرقه ليعلم المريد أن الفائدة التي يجنيها من أخطاء شيخه أن كان هذا الشيخ يخطئ اعظم من تلك التي يجنيها من استقامته " أي المريد " أن كان مستقيماً وتشمل أوراد المجذوبية على سبع دلائل الخيرات وواحد على ثلاثني من جزء القرآن لقراءة القرآن كله خلال شهر وسبع من حزب السلطان والصلاة الجامعة لابن عربي وترتيل سورة الإخلاص وسورة الكافرون والقارعة من قبل المريدين واعضاء الطريقة العادين وعن طريق هذه الاوراد يكون الحزب قد نقل عن الادب الصوفي العالمي ظاهره جديدة للسودان وبهذا يكون إحياء الطريقة المجذوبية ليدعم المبادئ المشددة للغسلام التقليدي التي أخلها لصالح العلماء والصوفيين على جسم الصوفية أهتمامه بالحلول الفردية في العبارات التالية:

هنالك ثلاثة أنواع من التوبة:

١- توبة الشخص العادي حيث يتوب عما نهى الله عنه ومن ارتكاب الخطيئة

٢- توبة الخواص التي تعني فتح قلوبهم على عالم الأرواح وانعدام الخطيئة من أفعالهم.

٣- توبة الصفة تاتي من قبل الله سبحانه وتسمى توبة خواص الخواص وهي فهم اسرار العالم السماوي.

وهذا التركيز على تخليص الفرد من أخطائه يوضح افكار المجذوب الصغير وانغماسه في مجتمع الحجاز وانه احيائي كاحمد بن إدريس وقد قاده هذا الموقف الاحيائي إلى الوراء إلى تقاليد ابن عربي.

وقد كانت فكرته محاولة لاعادة توجيه الإسلام بعيداً عن الكتيبات الشكلية للعلماء التقليدين ووضع تأكيدات على العناصر النفسية والاقتصادية والدين أما الاحياء فقد جاء نتيجة قوى اسلامية داخلية وخارجية كما جاء متأثراً باعمال ابن عربي ولتصالح الصوفين والعلماء واخيراً بالموروث القديم الذي ورثته المجذوبية الشاذلية ومن النتائج البارزة للأحياء تقليل الطبيعة التقبيدية التي اتسمت بها المجذوبية في نشاطها الديني وقد عزى كثير من اتباع المجذوبية حضور المجذوب من الحجاز في عام ١٨٢٨م واستقراره بالدامر لمرض والدته ورغبتها الصادقة في رؤيته وتنفي حقيقة بقاء المجذوب الصغير بسواكن سنتين ونصف قبل رجوعه إلى الدامر وقد ذكر في كتاب الوسيلة أن حضور المجذوب إلى سواكن جاء مرتبطاً بأمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) حيث ذكر المجذوب في رواية على لسانه " أذهب إلى اهل سواكن فانهم تجاوزوا الحدود وركبوا المعاصي والشهوات فارشدهم ودلهم على طريق الله " ويمكن تفسير رحيل الصغير عن الحجاز بالرجوع للخطوات التي اتخذتها الادارة التركية في الفترة ما بين (١٨٢٧ – ١٨٢٨م) ضد العلماء الاجانب وخاصة أحمد بن إدريس الذي قال عنه فول " Voll " أنه في ذلك لا يزال يحتفظ بعدد كبير من المريدين إلا أن الصراعات السياسية قد لعبت درواً في تحديد ما حدث لاتباع أحمد بن إدريس بعد موته وفسر ترمنقهام العداوه والخصومة لاحم ابن إدريس بأنها جاءت نتيجة لخصومة العلماء لتي تهدأ وأن تهمة الزنديقة قد وجهت ضده بما عرض حياته للخطر فهرب إلى زبيد في عام ١٨٦٧م ومن الواضح أن ، العلاقة الطبية التي كانت تربط بين أحمد بن إدريس والمجذوب الصغير قد جاءت نتيجة لانتمائها لمعسكر سياسي واحد وهناك اشارات في

الوسيلة تدل على أن حاكم المدينة التركي قد دسَّ السم للمجذوب الصغير لانتقاده للاتراك في تهاونه في اقامة الشعائر الدينية بهذا يمكن القول بان المجذوب الصغير قد أجبر بواسطة الحكومة التركية على ترك الحجاز وعلى ما يبدو ضعف قبضة الإسلام في شرق السودان مقارنة بالروح الإسلامية العامة التي كانت سائدة في البلاد تحت ظل سطنة الفونج وقد وصف بيركهاردت الحالة التي كانت سائدة خلال عام ١٨١٤م بما يأتي:

" تقريباً وفي كل قرية كنا نجد فرداً أو اثنين فقط أدى فريضة الحج أو يقوم بأداء مهمة الفقراء " رجال الدين " وكان هؤلاء هم الذين يشغلون انفسهم بالاحتفالات الدينية وتجهل العامة قوانين الشريعة والدين جهلاً تاماً هذا فقد أدى لين الاتراك الديني وفسادهم التجاري إلى فساد مدينة سواكن وحسب ما جاء في وصف بيركهاردت " فإن سكان سواكن قد فسدوا جميعاً نتيجة لضعف العقيدة والجشع والسكر والفسوق يقاسم في ذلك سكان سواكن جيرانهم من الصحراء لذلك نجد أن المجذوب الصغير قد قوبل بنفس الإنحلال الاخلاقي الذي وجده في الحجاز وقد كانت سواكن بورة صالحة ليبدأ منها برنامجه الاصلاحي ومواجهته ذلك الفساد وقد روى محمد الشيخ الطاهر في كتاب الوسيلة قصصاً عن كرامات المجذوب[1] الصغير في محاربته للفساد الاخلاقي وفي هذا الصدد ذكر أحمد عبد القادر سالم أحد تلامذة المجذوب الصغير أن المجذوب الصغير قد افقد أحد العاهرات بصرها لاصرارها على ارتكاب الدعارة.

وفي رواية لصهره ابوبكر جا فيها أن الصغير عادة ما يروى لتلاميذه ما فعلوه اثناء الليل ونتيجة لنشاط الصغير ضد الفساد الاخلاقي ترابط تلاميذه

---

[1] عوض السيد الكرسني – المجذوبية والمكاشفية طريقتان صوفيتان في السودان ص١٩

ترابطاً وثيقاً واصبحوا كانهم أسرة واحدة وهكذا اصبح المجذب الصغير شخصية دينية لها شهرتها في سواكن وإمتدت هذه الشهرة حتى خارج نطاق سواكن إذا ارسل له حاكم اليمن مبلغ مائة ريال حيث قام بتوزيعها على الفقراء " رجال الدين " في سواكن.

وابن أخيه الطاهر المجذوب وابنه الشيخ محمد المجذوب وسائر شيعتهم قد نهضوا بالنشاط الديني والفكري بوجه عام واسسوا مساجد وزوايا كانت ذات اثر ايجابي في إنجاح الطريقة المجذوبية وإزدهارها قد وضع الشيخ المجذوب للطريقة المجذوبية اربعة موالد نبوية ومدائح واذكار وأوراد للصباح والمساء ولليلة الجمعة والمناسبات الاخرى كيوم عرفة واليدين وعند رؤية الأهله وقصة الاسراء والمعراج إلى جانب تفسير لبعض آيات القرأن وحكمه واشعاره في الوعظ والارشاد وعتاب نفسه ذمها على فعل الطاعات.

وفي حديث الشيخ عن طريق التصوف في الطريقة المجذوبية يحدثنا عن المقامات السالك والسالك كما عرفه ابن عربي " هو الذي مشى على المقامات بحاله لا بعلمه" [1]

وفي الحديث عن مقامات السالك يقول " أنها اثناء عشر مقاماً منها:

١/ الانتباه : ومعناه الخروج من حد الغفلة.

٢/ التوبة ومعناها الرجوع إلى الله مع دوام الندم و الاستغفار.

٣/ الانابة : ومعناها العودة من الغفلة إلى الذكر [2]

ونلاحظ بين مقامي التوبة والانابة أن الشيخ يفلسف صلة التوبة بالانابة عابراً متوغلاً مع الجنيد الصوفي القديم فالتوبة عند المجذوب هي الرهبة وهي تسلك الطريق إلى الظاهر اما النابة فمعادلها الرغبة وهي متراجعة نحو الباطن واصلة بين الباطن والظاهر.

ثم يعرف الإرادة فيقول " أما الارادة فهي استدامة الكد وترك الراحة والزهد هو ترك الحلال من الدنيا فضلاً عن الحرام.

أما الفقر عنده فهو خلو اليد من المال ولكن عدم الشعور بملكية المال للإنسان وعبوديته له أما الصدق فهو استواء السر والعلن[3].

وهنالك من مقامات السالكين الصبر، الرضاء، الاخلاص ، التوكل يقول عبد القادر محمود في كتابه " الطوائف في السودان [4] (إذا سالنا المجذوب الواعي لم اختلفت المسالك نحو المقصود الواحد أجاب: أن السبب هو تفاوت درجات وصفات الأحوال والمقامات عند السالكين فمنهم من سلك الطريق ولازم الماء

---

[1] التصوف الاسلامي في الادب والاخلاق – ذكي مبارك ، دار الكتاب العربي مصر – ج١، ط١ – ١٩٤٢م ، ص٧١

[2] مناقب الشيخ المجذوب ، ص ٣ –١٨

[3] نفس المرجع السابق ص١٨

[4] عبد القادر محمود

والمحراب واستغل بكثرة الذكر وواظب على الأداء وهذا النهج هو اسلم الطرق عند المجذوب بالنسبة لمنه هداهم الله ومنهم من سلك الرياضيات والمكابدات وهو اصدق الطرق مع أولئك الذي يؤتون أجورهم مرتين بما صبروا ومنهم من سلك طريق الاعتزال والخلوة وطلب سلامة من الدنيا وأولئك في نظرة من عناهم الله في القرآن بقوله " أولئك ما عليهم من سبيل " ومنهم من سلك طريق التجرد عن الخلق والتفرد بالحق والموالاة في الله والمعادة فيه " أولئك حزب الله إلا إن حزب الله هم المفلحون " ومنهم من سلك طريق السياحات والأسفار والاغتراب من البلدان والأمصار " أولئك يتقبل الله عنهم أحسن ما عملوا ويتجاوزا عن سيئاتهم" [1].

ونلاحظ في أوراد المجذوب ما هو جهر وما جمع بين السر والجهر مثلا راتب الغداة وبعد المغرب فيه الجهر قول " بسم الله ولا اله إلا الله ثلاثاً " ثم الله بالمد والسكون ثلاث مرات ثم لا اله إلا الله محمد رسول الله ثلاث مرات ".

وفيه من السر السلام عليكم أيها النبي ورحمة الله وبركاته أعوذ بالله من الشيطان الرجيم " ولو أنهم ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسل لوجدوا الله تواباً رحيماً " ها أنا يا رسول الله ظلمت نفسي وجئتك مستشفعاً بك إلى الله ليغفر لي[2].

وقد زخرت مناقبه بألوان من الآداب لصوفية مثل أدب المريد مع شيخه والإذكاء والأوراد المختلفة.

---

[1] الوسيلة إلى المطلوب في مناقب الشيخ المجذوب ، الشيخ الطاهر المجذوب . ص ٤٢ – ٤٧

[2] محمد الطاهر المجذوب – مناقب الشيخ المجذوب ص٤٢

مكانته العلمية عند شيوخه:

وقد كانت له مكانة علمية عند شيوخه وعلمائه وقد اعترف له بالفضل والعلم والولاية الكبرى جميع من عاصروه من العلماء والشيوخ " وممن اعترف له بالفضل الحسيب النسيب الحسنى الفاطمي إمام السالكين مولانا السيد أحمد بن إدريس رضي الله عنه فإنه قال لأصحابه " يا إخواني أما أخونا أبو المجذوب فهو من الذين يأخذون بلا واسطة من علام الغيوب ومثله حكى الشيخ إبراهيم الرشيد عن شيخه المذكور وقال " أنا اشهد بذلك عن الله كان سيدي أحمد الإدريس قليل الكلام إلا في التعليم والضروري من المسائل فإذا جاءه المجذوب يترك الذكر وبالإنس والبشر يتلقاه لها فقال له بعض أصحابه " أنا نرّاك لا تتكلم مع أحد ولا تسأل عن أحد جاء أم ذهب ولا تشتغل بغير الذكر فإذا جاء المجذوب أقبلت عليه فما السبب ؟ قال (أني أجد في الذكر ما ل أجده في كلامكم واجد في كلام الشيخ المجذوب زيادة لم أجدها في الذكر فاعترفوا للشيخ المجذوب بعلو الجاه.

وقيل فيما رواه تلميذ الشيخ إبراهيم الرشيد " لو يعلم الناس ما في المجذوب لتركوا جميع الصالحين القريب والبعيد واتوا لبابه لما له من الكرامة والمنزلة عند الله [1].

ومما شهد بولايته الشيخ إسماعيل الولي رضي الله عنه قال كنت متقدماً على الشيخ في الحضرة بسبع سنين لكوني أكبر منه سناً دخل المجذوب الحضرة سبق جميع من تقدمه من الأولياء حساً ومعنى وصاروا لا يتقون على أمر إلا إذا استشاروه وارتضاه[1].

---

[1] محمد الطاهر المجذوب – مناقب المجذوب ص١٣

[1] محمد الطاهر المجذوب– مناقب المجذوب ص١٤

هنالك شهادة كتبها له العارف بربه الشيخ إبراهيم السويدي وكفى بها شهادة قال: بعد الحمد والثناء على ربه ورسوله من بعده وأصحاب رسوله واتباعه قال" كان الفاضل عالم الأدباء وأديب العلماء ذو الخلق الذي تستعير من نشره الإزهار شهاب الملة الساطع وبدر الكمال الطالع شيخي سيدي وعضدي وأستاذي الشيخ محمد المجذوب المدرس حينئذ في مسجد النبي المحبوب كان عليه من شمس الضحى ومن الق الصبح عمود أنار الله بوجوده حنادث المعارف وأبدى بخفايا تحقيقه مكونات اللطائف فلعمري هو ممن جمع الله له بين شرفي العلم والنسب وفضلى الحلم والأدب وأناله الميراث النبوي ما أحب فقام بشكر هذه النعم كما وجب وكنت أنا ممن منحه المحبة لجنابه الكريم وتلقي منه الطريقة الشاذلية على الفخيم فأقول حمد الله أني أجزت لسيدي المولى ولا غرو في صدور الإجازة من قبلي لمن هو أعلى من وأولى من يروى عنه الأربعة المذاهب والحديث والتفسير بما معي من السند الشهير قال ذلك وخطة بقلمه العبد الفقير إبراهيم بن سويد الخرساني عفا الله عنه سنة ستة الف ومائتين وثلاثين من هجرة سيد المرسلين (صلى الله عليه وسلم) وهذه باختصار بعض صفاته وأخلاقه ومكانته.

المبحث الثاني

آثاره الأدبية وتصانيفه

وأهم تراث المجذوب المناقب الذي جمعه الشيخ الأكبر الطاهر المجذوب بعنوان الوسيلة إلى المطلوب في مناقب الشيخ المجذوب[1].

في بعض ما اشتهر به مناقب وكرامات وبهامش الكتاب خمس رسائل أخرى للسادة المجاذيب هي:

١- رسالة بغية المريد السالك تأليف محمد مجذوب وشرح رواتبه.

٢- رسالة إزالة القبض والحزن في إثبات صحة مسألة القبض" .

٣- رسالة المنسك الارهج في مشاعر العمرة والحج من مؤلفاته التي لم تنشر بعد الشمائل الترمذية ورسالة في الحديث والمعجز الوجيز من أحاديث والمعجز الوجيز من أحاديث الرسول العزيز ورسالة في مصطلح الحديث ورسالة الهدى في الأتباع للنبي المقتدى ورسالة السنة المحمدية في بيان القواعد الدينية ورسالة المظاهر الابليسية ورسالة العقد الاسني ورسالة شمس نهار التجلي وغيرها.

وإذا تتبعنا محتويات كتاب الوسيلة أو المناقب وجدناها تضم تفاصيل هامة عن أوارد الصباح والمساء وعن أذكار الطريقة ووصايا الشيخ لأصحابه وأهله عشيرته وتفاصيل مقامات السالكين ومعاملات قلوبهم ومن أحوال العاشقين وشطحاتهم وتفاصيل مولد النبي (صلى الله عليه وسلم) وحكايات وأمثال وكرامات ومن آثار الشيخ الشعرية ديوان شعر يحمل اسمه جمع فيهات القصائد التي قالها

---

[1] طبع هذا الكتاب على نفقة صاحب المكتبة الوطنية الشيخ المهدي أحمد.

في المدينة المنور وسواكن وفي دامر المجذوب غيرها من الأماكن وقد جاء ديوانه في مدح المصطفى (صلى الله عليه وسلم) طالباً شفاعته ونجاته من النار بالإضافة لمعرضته لشعراء المديح مثل الشيخ البرعي، والبوصيري وابن الفارض وغيرهم فالمجموعة تضم شعره إضافة لشعر ابن أخيه الطاهر وشعر الشيخ محمد المجذوب ابن الشيخ الطاهر، الشيخ ويقع الديوان في ثلاثمائة وخمسين صفحة.

ويشتمل على:

١- الجمانة اليتيمة قصة الإسراء والمعراج.

٢- النور الساطع في مولد النبي (صلى الله عليه وسلم)

٣- مولد اللآليء الزهرات والقصوص الفائقات.

٤- النفحات الليلية في مولد خير البرية.

٥- العقد المنظم في مدح النبي المحمود.

٦- سر المدد والسهود في مدح النبي المحمود ثم ديوان الشيخ الطاهر المجذوب.

وديوان ابنه الشيخ محمد المجذوب ابن الشيخ الطاهر " الشيخ ابن الشيخ " أما الشيخ محمد المجذوب جلال الدين فله ديوان يسمى " منهج الرسول في مدح الرسول "

ونطالع في بداية الديوان واقعة الإسراء والمعراج في أسلوب نثري جميل ومن ذلك قوله" أعرج في سماء الاستعانة بسر الاسم الأعظم الدال على ذات الله واخترق حجب بما عند الحق من معاني الحمد واشرح في رياض الامتنان

لاجتنء أنواع أفضل الصلة على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) [1] وهذه القطعة من النثر الأدبي وهي ملأى بألفاظ الصوفية وأخيلتهم كثيرة الإضافات متداخلة العبارات على أنها بالرغم من ذلك تشف عن ملكه قوية كما في قوله بعد ذلك باسطاً عبقري الحسن لنثر عنبر أنوار حبيب الله يقول عبد الله الطيب معلقاً " والعبقري هنا لفظه قرآنية فصيحة الناحية الشعرية أقوى من الأغراب الصوفي.

وكقوله " معترفاً خاف هنا بالحوم الحمى حصر بعض البعض من ذلك الاكتناه... " فغير خاف هنا أن الكاتب عمد إلى الحديث " ومن حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه فأشرفه ألفاظ المتصوفة كالحصر والاكتناه وبعض البعض وسائر العبارة سوى ذلك مستقيم[2].

وقد ورد نثر الشيخ المجذوب عند عبد الله الطيب في كتابه الاتجاهات الحديثة للنثر العربي في السودان حيث يقول " أن مولد النفحات الليلية في ذكر مولد خير البرية كله على هذا النمط" بل هذا المولد من أجود ما كتبه من ضروب النثر عشر وقد حسن الناس بحسنه فهم يؤثرونه على موالده الأخرى في ليليات الذكرى ولا يخلو المجذوب من أن يكون نظر فيه إلى مولد البرزيخي وقد كان هذا معروفاً ومن ذلك قول البرزيخي.

---

[1] محمد مجذوب قمر الدين – مجموعة المجذوب طبع الباب الحلبي القاهرة ط ٢ ١٣٥٩هـ ، ص ٢٤ – ٢٥

[2] دكتور عبد الله الطيب – الاتجاهات الحديثة في النثر العربي في السودان معهد الدراسات العربية – جامعة الدول العربية ١٩٥٩م د.ط ، ص١٤

" وظهر عند ولادته خوارق وغرائب غيبية إرهاصا وإعلاماً بأنه مختار الله تعالى ومجتباه فزينت السماء حفظاً ورد عن المرد وذرو النفوس الشيطانية"

ويمتاز ديوان الشيخ محمد المجذوب قمر الدين بالشعر الجيد الراقي النظم والأسلوب والصياغة والديباجة والسهولة وجودة العبارة وتنوع الموضوعات وسلسة التعبير وسهولة المعنى.

وفي بداية الديوان نطالع قصة الإسراء والمعراج كيف لا وهي معجزة النبوة الكبرى ثم يتدرج عن الحديث عن مولده المبارك ومعجزاته وولادته وإرضاعه طلب الشفاعة التوسل معارضة شعراء الصوفية كالبرعي والبوصيري في مدح النبي (صلى الله عليه وسلم) ثم الحب الإلهي والغزل الصوفي هذه القصائد التي ما ذكرت في مجلس إلا نزلت الرحمة وحفته السكينة وهذا الديوان الجامع أثنى عليه المجذوب ابن الشيخ الطاهر يقول في ذلك " ديوان فريد تميز عن كثري من الدواوين ونادراً ما تجد له شبيهاً وقد شبهه بالعروس في خدرها ليس لها مثيل ويقول الشيخ المجذوب ابن الشيخ الطاهر " الشيخ بن الشيخ " (إذا كنت تطلب العلا وتهوى طيبة دار رسول الله فسأله يجيبك وهو كنز من المعارف وبدر من البدور حيث يقول عن الديوان.

بل ذَاك ديوان يُنادي لِحَله

قد عَزّ ان تجدِو لَه أشباها

بلَ ذا فَريد مَا به كَمَماثِل

وعَروُس خِدرٍ أعدِمت أكفاها

ان كنت من يهوي العوالي الفائقات

فسله من أخبارها ونبأها

أو كنت تهوي طيبة الفخر الغلي

فاستفته يا طالباً فتياها

كنز المعارف أن أردت نعوته

بدر البدور أعزها اسناها

قمر المعالي ما المعالي هي التي

يخشي الفتي ذو العزم ان يلقاها

* ثم يمدح صاحب الديوان الشيخ محمد المجذوب قمر الدي

سندي وعوني عدتي في شتي

مجذوب حزب هو المزمل طه

* ثم يصلي علي المصطفي (صلي الله عليه وسلم)

ثم الصلاة علي الذي ساد الروي

من قطرة فوه عن الهوى ما فاها

والمجذوب قمر الدين في هذه المجموعة يصف الحقيقة المحمدية بأنها أصل العوالم والأنوار الصمدية في حضرة الاحدية ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها ثم أعمله بنبوته وشرفه برسالته هذا وآدم بين الروح والجسد ثم إنبجست

منه الأنوار فظهر بالمظهر الأعلى وهو المنظر الأجلى فكان لهم (صلي الله عليه وسلم) المورد الأحلى[1].

وفي حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) " أول ما خلق الله نور بنيك يا جابر".

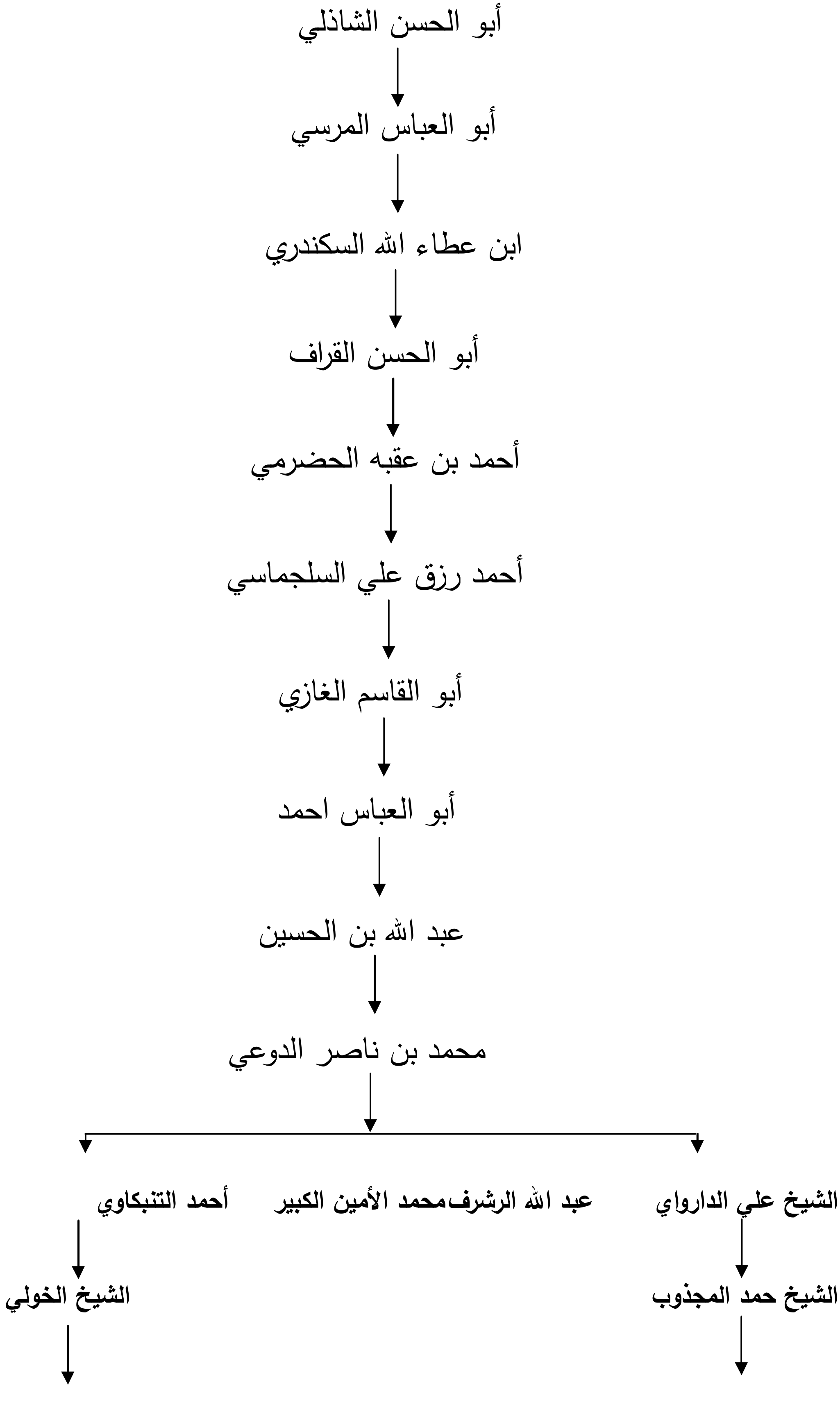
والمجذوب في قصائده وفي كتاباته النثرية التي يروي فيها انطباعاته عن واقعة الإسراء والمعراج لا يخرج عن توكيد الحقيقة المحمدية في كل مظاهرها الكونية الروحانية.

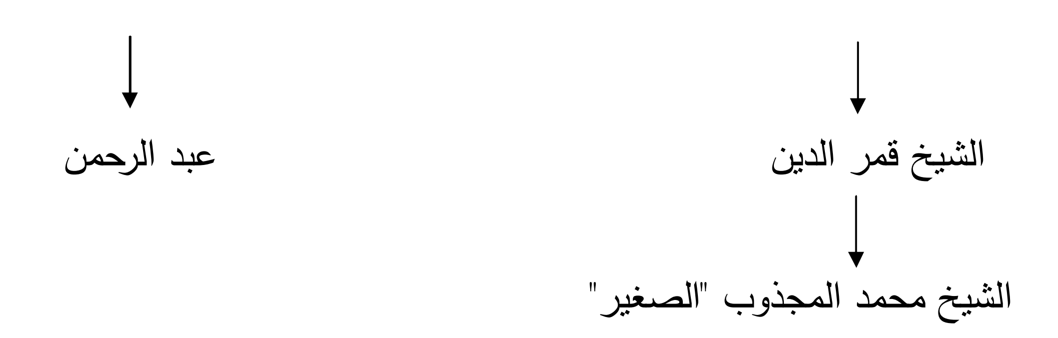
يقول الدكتور عبد الله الطيب المجذوب " تعتبر آثار هذا الشيخ وآثار أسرته من أجود ما كتبه السودانيون من أوائل التركية السابقة إلي آخرها"[2].

[1] محمد المجذوب قمر الدين – ديوان المجذب ص ٣٤.

[2] عبد الله الطيب – معهد الدراسات العربية – الاتجاهات الحديثة في النثر العربي في السودان ١٩٥٩م.

شجرة الخلافة الشاذلية وخلفاؤها في السودان





الشيخ قمر الدين
عبد الرحمن
الشيخ محمد المجذوب "الصغير"

الفصل الثاني

المبحث الأول

ذكر الشمائل النبوية

قبل أن أخوض في ميدان المديح النبوي في شعر المجذوب أتحدث قليلاً عن دور الشعر في نشر الثقافة الإسلامية واشتهار الأسرة المجذوبية بالشعر عله يكون مدخلاً يصل بنا إلي ما نرمي إليه.

كان الشعر في الجاهلية ديوان العرب وأحسابهم وأنسابهم وكان الشاعر يمدح قبيلته ويشيد بمكارمها ويرفع شأنها بين القبائل والقبيلة التي لا ينبغ فيها شاعر تعتبر خاملة الذكر.

وما أنا إلاّ من غزيه إن غوت غويتُ

وان ترشد غزيه أرشد

ثم جاء الإسلام وأبدل الجاهليين حياة راقية في النواحي الدينية والاجتماعية وظهر شعراء في عهد النبي (صلي الله عليه وسلم) وخلفائه الراشدين من بعده حيث جمع شعرهم بين الحياتين الجاهلية والإسلامية وظهرت فيه القيم الإسلامية الجديدة ومن أقدم ما مُدح به النبي (صلي الله عليه وسلم) قصيدة الأعشى التي يقول مطلعها[١].

ألم تغمض عيناك ليلة أرمدا

وعادك ما عاد السليم المسهّدا

---

[١] الاعشي ميمون بن قيس ديوان الاعشي – دار صادر بيروت ١٩٦٠م ، ص ٥٤.

وما ذاك من عشق النساء

وإنما تناسيت قبل اليوم خله مهددا

متى تُنَاخِي عند بابِ ابن هاشم

تريحي وتلقي من فواضله يدا

ويري زكي مبارك أن هذه القصيدة ليست من المدائح وإنما الأدب التقرب من النبي (صلي الله عليه وسلم).[١]

وأيضاً ممن مدح النبي (صلي الله عليه وسلم) النابغة الجعدي بقصيدة رائعة يقول:

أتيت رسول الله اذ جاء بالهدي

ويتلو كتاباً كالمجرّة نيّراً

وجاهدتُ حتي لا أحس ومن معي

سهيلاً إذا ما لاح ثمت غوراً

أقيم علي التقوى وأرضي بفعلها

وكُنتُ منْ النارِ المخُوفَة أُوجرا

كذلك مدح كعب بن زهير النبي (صلي الله عليه وسلم) بقصيدته اللامية[٢] "بانت سعاد" النسق التقليدي لشعراء الجاهلية حيث يبدأها بالغزل

بانت سُعاد فقلبي اليَوم مَتبُول

مُتيّم إثرها لم يُفد مَكبُولُ

---

[١] زكي مبارك – المدائح النبوية في الأدب العربي طبع الباب الحلبي مصر ١٩٣٥م ، ص ٥٢.

[٢] نفس المرجع السابق ص ٢٢.

أُنبئتُ أن رسول الله أوعدني

والعفو عند رسول الله مأمولُ

مهلاً هَداكَ الذي أعطاك نافلة القُرآن

فِيها مَواعيظُ وتَفصيل

إن الرسول لنَور يُستضاء به

مهند من سيوف الله مسلولُ

ويعدّ كعب ابن زهير في مدحه (صلي الله عليه وسلم) أكثر القصائد التي حظيت الاهتمام وجارها الأمام البوصيرى وابن جابر الأندلسي وشملت كثيراً من الأخيلة والصور وقوة البيان ويري زكي مبارك أن قصيدة كعب بن زهير قد خلت من التصوف ووصف الرسول (صلي الله عليه وسلم) بصفات جاهلية ولكن يجب أن نذكر أنّ كعب مدخل الرسول الكريم (صلي الله عليه وسلم) بالصدق والعفو والتسامح وان قالها وهو خائف من القتل كما يري ذكي مبارك.

نُبئتُ أن رسول الله أوعدني

والعفو عند رسول الله مأمول

مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة القرآن

فيها مَواعيظُ و تفصيِلُ

ثم جاء بعدهم حسان بن ثابت الأنصاري شاعر رسول (صلي الله عليه وسلم) الذي وصاه الرسول (صلي الله عليه وسلم) أن يتعلم الأنساب من أبي بكر الصديق ليكون شعره أوجع في الهجاء وأنساب قريش ليهجوهم هجاء أشدّ من وقع النبال[١]

وأقوي قصيدة في مدائح حسان بن ثابت العينية التي يقول فيها

---

[١] نفس المرجع السابق ص ٢٣.

أَكْرِمْ بقومٍ رَسُول الله شيعتُهم

إذا تفرقت الأهواء والشيّع

وممن مدح الرسول الكريم (صلي الله عليه وسلم) كعب بن مالك الأنصاري وكان شاعراً مجوّداً مطبوعاً وجاء معظم شعره في الدفاع عن النبي (صلي الله عليه وسلم) وهجاءً للكفار وتصويراً لهزائمهم وانتصار الإسلام.

وفي القرن الثاني مدح الشيعة النبي (صلي الله عليه وسلم) وآل البيت يقول الكميت في قصيدة مطلعها.

من لقلب مُتيم مُستهام

غيرما صَبوه ولا أحلام

ثم يقول في المدح[1]

خير مُسترضَع وخَير فطيم

وجنين أُقر في الأرحام

وغلاماً وناشئاً ثم كهلاً

خير كهل وناشئ وغُلام

طيّب الأصل طيب العُود

في البنية والفرع يثربي تُهامي

وقد مدح الشيعة (صلي الله عليه وسلم) بما مدحوا به أأمتهم من شرف النسب وإزالة الظلمة وهداية الناس والبر والتقوى وغيرها من الصفات الحسنة.

[1] ذكي مبارك – المدائح النبوية في الأدب العربي ، ص ٨٣.

وقد ظهر شعر الزهد في القرن الثاني الهجري وفيه دعوة الي ذم الدنيا وتركها والإقبال عليها[١].

وبنهاية القرن الثاني الهجري تطور شعر الزهد إلي الشعر الصوفي وقد اتسم القرن الثالث الهجري بالحديث عن الحب الإلهي ولم يتعدّ الشعر الحبّ الإلهي طوال هذا القرن[٢].

ثم ننتقل إلي القرن الخامس الهجري حيث يزدهر شعر المديح وقد لمعت أسماء بعض الشعراء كالشيخ البرعي والإمام زكريا السقراطيسي المتوفي عام ٤٩٦هـ.

وفي هذا القرن ظهر أثر التصوف في الشعر والمديح النبوي فدخلت الأفكار الصوفية في المديح وإن لم تدخله النظريات الفلسفية التي نجدها في القرن السابع الهجري[٣].

ومن آثار التصوف قول الشيخ عبد الرحيم البرعي بوجود (صلي الله عليه وسلم) وآدم بين الماء والطين.

هداية الله والدنيا وصفوتُه

فيها وخيرته ممن ذَرا وبَرا

إذ كان في الكون موجوداً وادم في

ماءِ وطينِ حماءاً* لم يكن بشراَ

نُبوُة قَبل خلق الخَلقِ سابقةٌ

إن الإمام أمام والوراء ورا

---

[١] نفس المرجع السابق ص ٨٣.

[٢] جعفر عثمان بخيت شعر المديح النبوي نشآته وتطوره رسالة ماجستير – كلية الآداب – جامعة الخرطوم ١٩٦٩م ص ١٢١.

[٣] نفس المرجع السابق ص ٥١.

* حماءا بمعنى (الطين)

ويقول البرعي أيضاً

تُثني عليه المَثَانى كُلما تُليت

كما أستنارَت به الأقطارُ السُبل[1]

ويقول في الشفاعة

وذلك الشافِع المقبُول عصمَتنا

به إلى الله في الدَارينِ نَبتَهلُ[2]

وإنه الحكم الفصل الذي نُسِخَت

بدين مِلتهُ الأديان والمللُ

وقد جاء شعر البرعي وجدانياً ينطق بحبّه (صلي الله عليه وسلم) والشوق إلي زيارة قبره وتتميز قصائده في مدحه (صلي الله عليه وسلم) برقة الأسلوب وسلاسته وروعته يقول البرعي.

كُلفت بِكُم ففاض دمي دُموعاً

وبِتُ سَمير من هَجَر الهُجُوعَا

ويقول

ومدح رسول الله فأل سَعادتي

أفوزُ به يَوم السماء تمُور[3]

نبيٌ نقيُ أريِحي مُهذَب

بَشيرٌ لكل العاملين نَذيِر

إذا ذُكِر إرتَاحت قُلوبٌ لذِكرِه

وطابت نفُوسٌ وانشرحنْ صدُور

---

[1] المرشد الي فهم أشعار العرب دكتور عبد الله الطيب – مطبعة جامعة الخرطوم ١٩٩٠م ج٤ ص ١٣١.

[2] نفس المرجع السابق ص ١٣١.

[3] المرشد الي فهم اشعار العرب د. عبد الله الطيب ص ١٢٠.

وكلُ شريف عِندَه مُتواضع

وكل عَظيمِ القَريَتينِ حَقير

(يجب ملاحظة الأسلوب السهل السلس الرائع مع الاقتباس من القرآن الكريم)

وفي القرن السابع تطور شعر المديح وبرز عددُ من الشعراء مثل شرف الدين الصرصري وقد أثرت الافكار الصوفية في هذا العصر في المديح النبوي ومنها ظهور النور المحمّدي ونطرية الحب الإلهي وقد إرتبط المديح بالتصوف في القرن السابع الهجري وكان التصوف خير علي الحركة الادبية وان آثار عليها الفقهاء ووقع صدام بينهم وبين تعاليم التصوف وقد مدح صوفية القرن السابع الهجري النبّي بمدائح شتي زخرت بها دواوين أشعارهم فقد مدحوه حبّاً وتعظيماً ورجاءً في شفاعته.

يقول البوصيري[1]

رجوتُ غفران ذنبٍ مُوجب تلفي

له في النفس إملاءُ وتسويلُ

وليس غيرك لي مولي أُمِّله

بعد الإله وحسبي منكَ تأميلُ

ويقول

كيف تَرقي رُقيكَ الأنبياء

يا سماء ما طاولتها سماءُ[2]

---

[1] ديوان البوصيري تحقيق سيد محمد كيلاني طبع الباب الحلبي مصر ١٩٥٥م ، ص ١٨٤.

[2] المرشد الي فهم اشعار العرب ص ١٣٧

غير ان خير ما مُدح به النبي (صلي الله عليه وسلم) قصيدة البردة للإمام البوصيري وتقع في اثنين وثمانين بيتاً ويري زكي مبارك أن البوصيري استأنس عند نظمها بميمية ابن الفارض ودليل ذلك تشابه المطلعين[1]

مطلع ابن الفارض:

هل نار ليلي بدت ليلاً بذي سلم

أم بَارقٌ لاحَ في الزَورَاء فالعِلمِ

ومطلع قصيدة البوصيري:

أمن تُذكر جيرانٍ بذي سلم

مَزجتُ دمعاً جَري من مُقلةٍ بِدمِ

وقد اشتملت البردة علي تصدّرها بالنسيب والتحذير من هوي النفس ثم معجزة الإسراء والمعراج والجهاد والتوّسل والمناجاة

يقول في هذا البيت

لو ناسبت قدره آياته عظماً

احيا أسُمه حيث يُدعي دَارس الرمم

أكرم بِخُلقٍ نبِّي زانه خُلُق

بالحسن مشتمل بالبشر مُبتسم

وقد ظهرت نفحات التصوف في الجزء الاخير وهو التوسل برسول الله (صلي الله عليه وسلم) كالزَهر في ترفٍ والبدر في شَرفٍ

والبحر في كرمِ والدهرُ في هممِ

يا أكرَم الرُسل مَالي ما ألوذ به

---

[1] ذكي مبارك – المدائح النبوية في الادب العربي ص ١٥٥

سواك عندَ دُخول الحادث العَمم

ومما يميز شعراء المدائح النبوية في القرن السابع الهجري الصور الفنية الرائعة ومتانة الأسلوب وحسن الصياغة وجمال التشبيه وروعة التصوير والعاطفة الصادقة ففي لامية البوصيري معارضة لبانت سعاد.

دامت عليك صلاة الله يكفلها

من المُهيمن إبلاغ وتوصيلُ

ما لاحَ ضَوء صباحٍ فاستسرّ به

من الكواكب قنديلُ فقنديلُ

أما في القرن الثامن فقد بدأ شعر المديح في الانحطاط في سائر أقطار العرب ما عدا مصر والشام تحت المماليك وقد شجع المماليك الأدب والعلم فازدهر الأدب في مصر أما بقية الأقطار العربية فقد ضعفت المدائح النبوية فيها ودبّ إليها الوهن وامتلأت المدائح النبوية بالمحسنات البديعية وأصبحت ركيكة الأسلوب خالية في العاطفة الصادقة كما عند صفي الدين الحلي[١].

وبمجيء القرن العاشر واستيلاء الأتراك علي البلاد العربية انحطت سائر الدول العربية وعمّها الجهل فكثر في شعر المديح الحشو والإسفاف وأصبح شعر المديح يأخذ من المعالم القديمة ورجع الشعراء إلي شعر البرعي والبوصيري فخمسوها وسدسوها وشطروها وجاروها.

ورغم كل ذلك فان المديح النبوي في السودان ازدهر وبلغ مرتبة سامية.

---

[١] قرشي محمد حسن شعراء المديح النبوي ص ٢٥٢ "بحث مقدم لنيل درجة الماجستير ١٩٩٥م" طبع المطبعة الحكومية الخرطوم ط١ د.ت.

المديح النبوي في السودان:

دخل التصوف السودان أبان الزرقاء ومنذ مملكة سنار التي كانت حجر الزاوية الأدبية في السودان كما جاء في طبقات ود ضيف الله.

وأدباء التصوف الإسلامي وشعراؤه معروفون في عالم الأدب فقد كتبوا أجمل الشعر العاطفي الرقيق من حبّ الله ورسوله وعرفوا كيف يذوبون مشاعرهم في قصائد تعتبر من أرق الغزل[1].

وقد عرف شعر التصوف قبل ظهور الثورة المهدية بانتشار الطرق الصوفية في جميع إرجاء السودان ومدائح مشايخ الطرف الصوفية وتصوير كراماتهم وقصائد المشايخ التي تسمي "لسان الحضرة" وفي اصطلاح الصوفية تسمي "الشطحات" وهم يمجّدون فيها أنفسهم ويصّورون مقاماتهم والهبات التي كرّمهم الله بها.

وقد بدأ المديح دارجاً وأزدهر في عصر الفونج ومن شعراء ذلك العصر ود حليب وحاج العاقب وحاج الماحي في القرن العاشر الهجري وقامت المدائح النبوية بدور هام في المجتمع السوداني بتوجيهه وتهذيبه وتعليمه فهي نافذة للوعظ والإرشاد والعبرة والاعتبار ربطت بين ماضي الأمة السوداني وحاضرها بتمجيدها للإسلام وأبطال الإسلام وتناولت مدح الرسول (صلي الله عليه وسلم) والدعوة إلى العبادة وزخر النفس وإتباع الهوى[2].

وهي وسيلة لنشر الثقافة الإسلامية وهي مليئة بأحدث السيرة العطرة وتعاليم الإسلام.

---

[1] نفس المرجع السابق ص ٥

[2] قرشي محمد حسن شعراء المديح النبوي ص ٥ "بحث مقدم لنيل درجة الماجستير ١٩٩٥م طبع المطبعة الحكومية الخرطوم ط١ د.ت"

ويبدأ المديح السوداني بالصلاة علي النبي (صلي الله عليه وسلم) ومدحه ووصف مناقبه وزيارة قبره ويختم بالصلاة بعد التوسل وأحياناً تبدأ العقيدة بالشوق لزيارة (صلي الله عليه وسلم).

والمديح النبوي يغرس حبّ رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بما يذكر له من صفات محبيه وتوضيح أفضاله علي المسلمين رقيق مؤثر فلابد ان تطرب نفوس المسلمين ويشتد شوقها إلي رسول الله (صلي الله عليه وسلم) والمصادر التي استقي منها شعراء المديح النبوي في السودان كما يقول د. جعفر بخيت "إن شمول المديح النبوي يدل علي انه استقي من عدة مصادر وتأثر بعدة عوامل وأهم العوامل السيرة الدينية، لم يكتف المداح بما جاء في كتب السيرة ووصف جمال النبي(صلي الله عليه وسلم) وحسن خلقه بل يرسمون له صورة تعبر عن نظرتهم له وتعكس صورته في أذهان الناس وهذه الصورة تختلف عما يراه المثقفون والذين لهم صلة بالدين الإسلامي في منابعه الأصلية الكتاب والسنة لان صورة الإسلام، وبالتالي صورة النبي (صلي الله عليه وسلم) لدي عامة الناس في السودان مرتبطة بالتصّوف والكرامات وخوارق العادة[1].

وقد مدح شعراء التصوف النبي وصحابته كأبطال ومدحوا شجاعتهم وكرمهم وتقواهم.

وكان لوجود هجرات متتابعة لرجال الفقه والتصوف خلال القرن العاشر الهجري اثر كبير لنشر الثقافة العربية الإسلامية في السودان فأكثروا فتح

---

[1] قرشي محمد حسن شعراء المدائح ص ١٤.

الخلاوي وتأسيس المساجد لتدريس القرآن والعلم[1] . وقد تأثر شعراء الصوفية في السودان لشعراء التصوف وحاولوا مجاراتهم فتأثروا بابن الفارض والبرعي والبوصيري وحاولوا مجاراتهم في قصائدهم ومواضيعها وأفكارها وحاولوا تخميسها وتسبيعها

فالمجاذيب في الدامر نظموا "النفحات الليلية في مولد خير البري" "و" العقد المنظم في مولد الرسول المعظم " و " سرد المدد والسهود في مدح النبي المحمود "وللطرق الختمية دواوين كثيرة منها" العقد المنظم علي حروف المعجم للسيد: عبد الله المحجوب الميرغني " و" النور البراق "للسيد: محمد عثمان والديوان الكبير المسمي" رياض المديح في مدح النبي المليح[2].

اشتهار المجاذيب بالشعر:

كان الشعر المجذوبي في بواكره وليد بيئة صوفية متدنية يعبرون عما في وجدانهم لا يعنون بالشكل بل بالصفة لا يتقيدون بالمظهر بل بالمعني وكان الشعر عندهم وراثياً ولا يخلو بيت مجذوبي من نظم شئ من الشعر يقول الشيخ الطاهر المجذوب [3].

يا بَني المجذُوب إن لكُم

في رسول الله سيدّكم

حبل ودٍ من أكَابركُم

فالزمُوه يا أولي الهِممِ

قد سمعتُم أن جدكُمو

---

[1] الطاهر محمد علي بشير – الأدب الصوفي السوداني – ط١ – لدار السودانية ١٩٨٥م.

[2] نفس المرجع أسابق ص ٣٣

[3] محمد مجذوب قمر الدين، ديوان مجموعة الشيخ المجذوب – مطبعة الباب الحلبي القاهرة ١٣٥٩هـ ، ص ٢٢٧.

قال إني قد حفرتُ لكُم

بئر حُبٌّ فيه مشربكُم

فاحمِدُوا لله ذي النِعَم

ومن أهم الموضوعات التي تطرقها شعراء التصوف عند المجاذيب تمسُكم بالنور المحمدي وإنه أول المخلوقات وانه لولاه ما كان بشر ولا وجود فلقد مدح متصوفه السودان النبي (صلي الله عليه وسلم) بكريم الصفات والشمائل وأصالة النشأة أخباره وسيرته ومعجزاته وتوسلوا بكل ذلك.

يقول الشيخ محمد الشيخ محمد المجذوب بن الشيخ الطاهر المجذوب[١].

بلغُّوا طيب سلامي طيبة

والثموا ترب حماها الحسنا

ثم حيُّوا ثاوياً في حيِّها

ومُقيماً في رُباها سكنا

فالشاعر المجذوب يتوصل لمدح رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يطلب من الحجاج الذاهبين إلي المدين أن يبلغوا تحياته إليها وأن يلثموا ترابها ثم يحيوا من فيها ثاوياً مقيماً ثم يسترسل في مدح الرسول(صلي الله عليه وسلم) مدحا

---

[١] محمد مجذوب قمر ، ديوان مجموعة الشيخ المجذوب – مطبعة الباب الحلبي القاهرة ١٣٥٩هـ ، ص ٢٨٠ – ٢٧٩.

تقليداً بأنه خير الرسل وإنه المختار وإنه رحمة الله علي خلقه وقد يتجاوزا هذه الصفات إلي مدح أعضاء جسم الممدوح كالخد والفم والعنق والرأس وغيره.

يقول الشيخ: الطاهر المجذوب مخمساً قصيدة الشيخ المجذوب قمر الدين[١]

يقول لمن شام وجنةً أحمدَ

ومتَّع ذا الطرف الكحيل المسّهدِ

بنور تجلّى فوق خّدٍ لأحمدَ

لخد منيرٌ أسهل ومشمَّم

كما مدحوا الأماكن الإسلامية المقدسة حتي يصلوا لمدح رسول الله الكريم مثل العقيق ونجد والمدينة وجعلوا هذه الأماكن افتتاحية لقصائدهم وقد يسبق هذه الأبيات شئ من الابتهال بالرسول الكريم عليه الصلاة والسلام يقول الطاهر المجذوب[٢].

يا ربِّ صَلِ علي النبّي وآله

ما سَار رَكبُ بالحجيج ورَاحَا

هل بَارق نَحو المَدينة لاحَا

أم أسفر الفجر بالحجيج صَباحا

وقلّد شعراء المجاذيب قصائد البردة والهمزية كما نظموا في الفخر الصوفي فالشيخ الصوفي يري نفسه محور الجماعة ويفتخر بطريقته وتصوفه ليد علي

---

[١] نفس المرجع السابق ص ١٩٦.

[٢] محمد مجذوب قمر الدين، ديوان مجموعة الشيخ المجذوب – مطبعة الباب الحلبي القاهرة ١٣٥٩هـ، ص ٢٨٠ – ٢٧٩

مكانته عند الله في أسلوب شطحي علي طريقة ابن الفارض في تائيته المشهورة الكبرى المسماة "نظم السلوك" ومطلعها يقول [١].

سقتني حُميّا الحبّ راحة مقلتي

وكأسي مُحيّا من عن الحُسنِ جلّت

الحُميّا : الخمرة

المُحيّا : الوجه

جلّت : تنزّهت

وهي قصيدة طويلة تعتمد لواعج الحبِّ في سطح صوفي قلّدها معظم شعراْ التصّوف في السودان علي رأسهم شاعرنا الكبير محمد المجذوب قمر الدين[٢] يقول:

صفت خلوتي بالحبِّ واصطف حولها

كبار رجالٍ قد أباحوا بسكرةٍ

ولي قصّة في الحبِّ لو حُكيت علي

فحول رجال لاستمالوا بقصتي

وخُوطبت في سِّري بسرّ كتمته

مخافة أن يؤتي بأكبر فتنهِ

كذلك نظم محمد عثمان الميرغني في نفس المعني فقال:

سمت رِفعتي الحب سُمواً بِرفَعتي

وأهل العُلا قَاموا صفوفاً لحضريتي

---

[١] شرف الدين أبي حفص عمر ابن الفارض – ديوان ابن الفارض طبع – دار بيروت ١٩٦٢ م ص ٤٦.

[٢] محمد المجذوب قمر الدين– ديوان المجذوب ص ١٧٨.

سقاني حُماً الفيض ساقي المُدامةِ

وخمري لذيذُ الطعم صافي الكِدورة

ولما أدار الكأس في حضرة العُلا

بَداني وأسقاني وأعطاني بُغيتي

ونسبة لارتباط صوفية السودان بالمديح النبوي طرقوا الغزل الصوفي فتغزلوا بسلمي وليلي وسعاد وزينب وغيرها في شعر يصعب احياناً التفريق بينه وبين شعر الغزل الصريح في أسلوب فيه الكثير في الرمز والغموض الصوفي يقول الشيخ مجذوب قمر الدين[١].

وكيف تري ليلي بعينٍ تري بها

محاسن دُنيا من نِساء روائع

وفي قول الشيخ المجذوب ابن الشيخ الطاهر في مدح ديوان عمه المجذوب[٢]

أبدت سليمي وانجلى بسناها

غسق الدُجى إذ أخجلت من ضاها

فالشعراء الصوفية في السودان قلدوا أشهر المدائح كقصائد البرعي والبوصيري وابن الفارض فشعرهم كأنه غزل حي لكن الشاعر يرمز رمزاً صوفياً بليلي وسلمي وهو نوع من الغزل الصوفي ونلاحظ التسطير والتخميس عند شعراء المجاذيب الذين يمثلون قمة الصوف في شعرهم حيث جاءت معظم كلماتهم حُبلي بعشق الصدق الصوفي وقّلما نجدهم كتبوا شعراً غير صوفي.

---

[١] محمد مجذوب قمر الدين – مجموعة ديوان المجذوب ص ٢٣١.

[٢] نفس المرجع السابق ص ٢٣٢.

وأهم تراث المجاذيب هو مجموعة المجذوب التي تضم شعر الشيخ محمد المجذوب قمر الدين وشعر ابن أخيه الشيخ الطاهر وشعر الشيخ محمد مجذوب بن الشيخ الطاهر وتعتبر هذه المجموعة أهم تراث المجاذيب وتشتمل علي :

١) الجمانة اليتيمة قصة الإسراء والمعراج.
٢) النور الساطع في مولد النبي (صلي الله عليه وسلم) الجامع.
٣) مولد اللائي الزهرات والفصوص الفائقات.
٤) النفحات الليلية في مولد خير البريِّة.
٥) العقد المنظم في ذكر مولد الرسول المكرم.
٦) سرد المدد والسهود في مدح النبي المحمود.

ثم ديوان الشيخ الطاهر المجذوب ثم ديوان ابنه الشيخ محمد المجذوب بن الشيخ الطاهر "الشيخ بن الشيخ".

وللشيخ محمد مجذوب جلال الدين ديوان خاص به وهو (منجح السوِّل في مدح الرسول)[١].

وبعد هذه المقدمة للشعر عند المجاذيب أقف بشيء من التفصيل عند شيخنا: محمد مجذوب قمر الدين الفقيه العالم الورع حبر الشيوخ وترجمان القرآن في السودان لمكانته السامية في قلوب مريديه وهو أول من قام بعملية إحياء الطريقة المجذوبية بعده جدِّه الفقيه حمد بن عبد الله بناء علي حلم جاءه في منامه ويري فيه رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وقد اختار له الطريقة الشاذلية المجذوبية وهو صاحب

[١] محمد مجذوب جلال الدين – ديوان منجح السول في مدح الرسول – الدار السودانية الخرطوم ط٢ – ص١٩٧٠م.

الكرامات والمنن والشعر الجيّد الراقي النظم والأسلوب والصياغة وجودة العبارة وسلاسة التعبير وسهولة المعني أمله من الله التوفيق والسداد.
وشيخنا محمد المجذوب قمر الدين الفقيه الورع العالم العارف بالله له مكانة سامية في قلوب المحبين وهو وليد بيئة صوفي متدينة فهو القطب الواصل الوارث الكامل صاحب الكرامات الظاهرة والمآثر الفاخرة، بخر الشريعة ومعدن الطريق والحقيقة.

فقد مدح النبي (صلي الله عليه وسلم) بالنور المحمدي فهو أول المخلوقات ولولاه لما كان بشر ولا وجود فقد قلّد وجاري قصائد البردة وهمزية البوصيري كذلك نظم في الفخر الصوفي في أسلوب شطحي كابن الفارض وديوانه كما ذكرت بضم شعره ونثره إضافة الي شعر ابن أخيه الطاهر المجذوب وشعر ابن الشيخ الطاهر أحمد محمد المجذوب وكم أسلفت فديوانه أهم تراث المجاذيب كما ورد ذكرها في تصانيفه وهي:

١) الإسراء والمعراج.
٢) النور الساطع.
٣) العقد المنظم.
٤) النفحات الليلية.
٥) مولد اللآلئ.
٦) سر المدد والسهود.

وكلها في مدح المصطفي(صلي الله عليه وسلم) طالباً شفاعته ونجاته من النار إضافة لمعارضته لبعض شعراء المديح مثل البرعي والبوصيري وفي بداية الديوان

نطالع فيه الإسراء والمعراج كيف لا وهي معجزة النبوة الكريمة الكبرى ثم يتدرج في الحديث مولده المبارك ومعجزات ولادته وما صاحبها ثم إرضاعه من حليمة السعدية إلي آخر العقد الفريد فقصائده جمة وهي ثرة ما أنشدت في مجلس إلا ونزلت الرحمة وانكشفت الغُمة وهو يعتبر إن مدح الرسول (صلي الله عليه وسلم) سبباً للحصول علي رضا اله وان المديح هو ميراث ا لحق الباقي عن آبائه وأجداده الممتد إلي أبنائه وأحفاده فغالباً يبدأ القصيدة في مدحه (صلي الله عليه وسلم) بالبسملة ثم الصلاة علي النبي (صلي الله عليه وسلم).

حيث يقول[1]:

بسم الله ذا الأعلى

بدأنا مدحهُ أحلي

لطه زخراً نتلو

عسي يرضي به المَلي

مدحنا سيِّداْ عالي

حبيباً ذكره حالي

وفي وسط السماء يُتلى

فهي قصيدة طويلة وهي من قصائد المربعات العشرة التي تبدأ بالبسملة ويري زكي مبارك أن شيوخ الأزهر لا يزالون مختلفون حول بدء الشعر بالبسملة لأنه في ما يرون من الأمور ذات البال والأهمية[2].

[1] محمد مجذوب قمر الدين – ديوان المجذوب – ص ١٥.

[2] زكي مبارك – التصوف الاسلامي في الادب والاخلاق في السودان ١٩٩٥م

وفي القصيدة أعلاه ذكر شاعرنا مجموعة من صفاته ونعوته الصالحة (صلى الله عليه وسلم) وإسرائه وعروجه للسماء وهو حبيب الله ذو المقام الرفيع يحلو ذكره

أنار الكون أجمعُه

وحاز الفضل أرفعُه

وسار الرسُّل فامتثلوا

له إذ عزه المولي[1]

ومن قصائده التي الفّها في مدحه (صلى الله عليه وسلم) قصيدة مطلعها [2].

صلاة الله علي البدر

محمدّ رسولنا نبِّي الخير

بدأت كلامي كما الدّرِ

بالاسم الأول في الذكر

الله إلهي ولي الأمر

عظيم قادر مقتدر

فالشاعر المجذوب قد بدأ قصيدته بكلام طيب رائع كأنه الشهد وإفتتحها باسم الله القادر علي كل شئ وقد حوت القصيدة معانٍ جميلة صادقة أتت من قلب مولّه بحبّه الله و(صلى الله عليه وسلم) محمد الرسول الصادق الأمين كما حوت صفاته الخُلقية والخلَقية[3].

يقول في صفاته الخلقية

من الحسن يفوق علي الصور

---

[1] محمد مجذوب قمر الدين – ديوان المجذوب – ص ١٥.

[2] نفس المرجع السابق ص ١٣٢.

[3] محمد مجذوب قمر الدين – ديوان المجذوب ص ١٣٣.

جبينه يللئي كما البدر

ومنه دواماً تري البشري

صفوح مليح بلا كدر

كريم يزيد علي البحر

وسبعُ العقل مع الفكرِ

منير الباطن والصدر

كساه الله حُلي الفخرِ

لقد ذكر المجذوب في هذه القصيدة نبذه من شماله (صلي الله عليه وسلم) منها صفحة وعفوه وكرمه وهو زائد علي البحر العميق عقبه الواسع وفكره الثاقب نظرته الصائبة وبصيرته العميقة الي غيرها مما يحق للمرء ان يفاخر به .

أما صفاته الخُلقية فيقول فيها[1].

الريح يفُوح كالعطر

والريق يحلي للمرّ

والطرف أدعج في حور

والخدّ أنور من نور

تراه حزيناً في فكر

من أجل أمَّته الغرِّ

[1] محمد الطاهر المجذوب – مناقب المجذوب – ص ٧١.

فهو المجذوب ادعج الطرف خده منير تجري معه الملائكة الكرام ان سكت فهو في ذ كر ربه سبحانه حزيناً يتفكر في حالة أمته وطلب الرحمة لهم ثم يقول خاتماً مدحه للمصطفي (صلي الله عليه وسلم)[1]

مجذوب يقو أياز خري

مرادي أراك مدي عمري

مديح الماحي شرح صدري

وحب اماحي محا وزري

عشقت الهادي من الصغر

وصار يزيد مع الكبر

فشاعرنا المجذوب ختم مديحه (صلي الله عليه وسلم) فهو يخفف ذنوبه بوم القيامة وهنا في هذا المجال ونحن نتحدث عن شمائله (صلي الله عليه وسلم) ان اذكر جزء من قصيدته المشهورة (صببت دموعاً) ويقا انها ما ذكرت وانشدت في مجلس الا حضرت فيها روحنيته (صلي الله عليه وسلم) كما انها حوت كثيراً من صفاته الخُلقية والخَ◌َ◌َلقية فهي قصيدة واسعة الانتشار نظمها في سواكن يقول في مطلع قصيدته "صببت دموعاً" [2]

صببت دموعاً يشهدُ الحزن أنها

أتت من فؤاد بالغرام متيمُ

وليس له من ذا التتيم مشرحُ

---

[1] محمد المجذوب قمر الدين – ديوان المجذوب ص ١٣٣

[2] نفس المرجع السبق ص ٦٩.

سوي أن يري معشوقه ويسلْم

يقولُ لي المعشوق لا تخشي بعد ذا

حجاباً ولا طرداً فعهدي مُتممُ

متى ما أردت القُرب مني فنادني

ألا يا رسول الله إنـي مُغرمُ

هذه القصيدة أروع ما كتب المجذوب في مدحه (صلي الله عليه وسلم) كيف لا وهو خير البشر قائد الغرَّ المحجلين إمام المرسلين رحمة للعالمين الشفيع يوم الحساب الرفيق يوم المآب فهو شعر ينضح بحرارة العاطفة وحسن الديباجة ودقة الصياغة وروعة التصوير ففيها رقة وشوق وصبابة الي محبوبه ومعشوقه وجملة محاسنه الظاهرة والباطنة فالدموع هتانة كما المطر وقد تدفقت من فؤاد هائم متيم يحب سيد الخلق ا لهادي البشير والسراج المنير واه لن يفيق من هذا الهيام إلا أن يري معشوقه ويسلم عليه حين يخاطبه (صلي الله عليه وسلم) بقوله لا تخش بعد الرؤية لجمالنا حجاباً ولا طرداً فأن عهدنا بعدم الطرد عهد مؤكد ويخاطبه بقوله مهما أردت القرب والدنو إلينا فنادنا وقل يا رسول الله تدارك من هو مغرم في محبتك ومتيم بلقاك والقرب منك لا يطيب له عيش بدون رؤيتك والتحدث إليك فاني أجيبك [1].

وكما ذكرت هنالك أبيات يعّدد فيها السلام علي رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ويري عبد المجيد عابدين في كتابه تاريخ الثقافة العربية ف السودان ان

---

[1] محمد الطاهر المجذوب – مناقب الشيخ المجذوب ص ٧٨ – ٧٩.

الشعر الصوفي السوداني قد تطور كثيراً في بعض مظاهره إلى طريقه تذكرنا أغاني السلام الحبشية وهي أغاني يذكر فيها الشاعر الحبشي كلمة السلام في كل أول بيت من أبيات الأغنية ويأخذ بعدها في تعداد أسماء أعضاء الممدوح الجسمانية عضواً على التوالي ويستنزل عليها السلام وهو بالضبط ما نجده في قول الشيخ المجذوب[1].

وعبد المجيد عابدين يشبه هذا النمط من القصائد بالتشبيه الذي ورد لكن يمكن ملاحظة أن هذا النمط درج عليه بعض المادحين واستخدموا عبارات أخرى في قصائدهم مثل بدء القصيدة بالبسملة والصلاة على النبي وغيرها من العبارات التي يرونها فيها طريقة للتعبير عما يريدون وفي قصيدة صببتُ دموعاً ترى التشابه الذي أورده عابدين واضحاً كل الوضوح في أبيات المجذوب التي فيها السلام على المصطفى (صلى الله عليه وسلم) قائلاً

سلام عليكم والسلام ينيلني

كمال شهود للجمال ويلهمُ

لساني تحيات تليق بقدكم

أكررها في حبكم وأهمهمُ

سلام على رأس الرسول محمد

لرأس جليل بالجلال معممُ

سلام على الطرف النبي محمد

لطرف كحيل أدعج ومعلمُ

سلام على أنف النبي محمد

---

[1] عبد المجيد عابدين– تاريخ الثقافة العلابية في السودان– دار الثقافة للطباعة والنشر بيروت ط ٢١٩٧٦م.

لأنف عديل أنور ومقومُ

سلام على خد النبي محمد

لخد منير أسهل ومشممُ

سلام على فم النبي محمد

لفم به در نفيس منظمُ

فالأبيات كما يتضح معناها كلها تحيات وسلامات على تلك الرأس الشريفة التي كساها الجلال والوقار تاجاً على وجهه(صلي الله عليه وسلم) ذلك الوجه البسام بالملثم بالضياء والنور وعلى طرفه المليح المعُلم بالدعج والتكحيل من حضرة الحسن الجليل وعلى أنفه اللطيف المقوم بالأنوار المُعدل بالكمال وعلى وجهه الحسن الأسيل الأنوار الأكمل الأرفع وعلى فمه النظيف المُنسق المُنظم بالدر النفيس الذي لا يتكلم إلا بذكر الله تعالى والدعاء لحضرته[١] فعبارات الشيخ المجذوب امتازت بالسهولة والوضوح في المدلولات فهو يسلم على كل جزء من أجزاء جسمه الشريف الطاهر ثم يواصل تحياته وسلامه فيقول[٢]

سلام على صدر النبي محمد

لعنق سطيع نير ومبرمُ

سلام على صدر النبي محمد

لصدر وسيع بالعلوم مطمْطمُ[٣]

سلام على قلب الحبيب محمد

---

[١] محمد الطاهر المجذوب –مناقب الشيخ المجذوب ص٧٨.

[٢] محمد مجذوب قمر الدين – ديوان المجذوب ص١٢٢.

[٣] مطمطم : ملأن ومكتمل.

لقلب بنور الله مُقيم

حتى يأتي إلى نهاية القصيد شاملاً السلام على النبي(صلي الله عليه وسلم) فيقول

سلام على ذات النبي محمد

فيا حسنها فيها الجمال متممُ

سلام على كل النبي محمد

نبي عظيم بالجلال معظمُ

فالشاعر يصف عنق النبي (صلي الله عليه وسلم) ذلك العنق الأشم المبرم الناعم الساطع المستقيم الأنوار الممتد على صدره الوسيع الملئ بعلوم الرب السميع وعلى قلبه السيد المقيم بأنوار الكريم المجيد الفعال لما يريد الذي إذا نامت العينان يشاهد حضرة الديّان ربي الجن والإنسان في كل لحظة وأوان وعلى كفه الرحيب الذي جاد به على حبيب من قبل في الغنى نصيب ثم يختم بالتسليم على ذاته الشريفة المتممة بالحسن والجمال وعلى صورته المكملة العميمة بالجمال والكمال والجلال وهو الذي له العناية العظمى من مولاه إذا ما الخلق في الحشر أقحموا على الجواب رفعة وتعظيماً لشأنه الرفيع ومن أروع قصائده في مدحه (صلي الله عليه وسلم) قصيدة ألفها في سواكن يقول مطلعها [1].

بطحان قلبي والعقيق معلق

والروضة الغنّا فؤادي يخفق

والقبة الخضراء تنزع مهجتي

لمن بها دوماً له أتشوق

---

[1] محمد مجذوب قمر الدين – ديوان المجذوب ص ١٢٩ .

قد كنت في تلك الأماكن راتعاً

أبداً بها أهيم أصفق

وأعمر الأوقات من ذكراهمو

فعساهُمو يحنو علي ويشفقوا

ذكر الشاعر مواضيع المحب وصرح بالمدح حيث تعلق قلبه ببطحان ووادي العقيق وهما واديان في المدينة المنورة علي ساكنها السلام وبالروضة الشريفة فمتى ما تذكر خفق قلبه واضطرب وتشوق للقبة الخضراء ورؤيتها والمقصود بها الحبيب ثم قال كيف لا أحن إلى قرب ومواصلة أحبتي فأوقاتي لا تطيب وعيشي لا يهنأ لا بذكراكم فعساهم وليتهم ولعلهم يشفقوا علي ويحنو لمواصلتي لقد همت بهم كثيراً وبحبهم[١].

ومما ذكره المجذوب في مدح المصطفي[٢].

لقد طال شوقي يا أميني لطيبة

أشخصها كوراً وطوراً أناظرُ

تذكرت يا خلي ليالي مبيتنا

بمسجدها والقوم باك وذاكر

تذكرت ساعات الوقوف تجاهه

نُصلي عليه تارة ونُسامرِ

تذكرت ترادي أخي بين روضه

[١] محمد الطاهر المجذوب – مناقب المجذوب ص ٧٩ – ٨٠.

[٢] محمد المجذوب قمر الدين – ديوان المجذوب ص ١٢٣ – ١٢٤.

وبين دكاك الزيت وهي أواخر

أشاهد منها قبة النور وهي في

ضياء له العافون شامو وزائر

سلام عليه كم شبا بجماله

قلوباً وكم فيه مُهيم وحائر

وقد خر للرحمن أحمد ساجداً

ونودي ليرفع أشفعن أنت شاكر

سلام عليه كم كروب وشدة

به حللت ثم أعقبتها البشائر

فعلت رسول الله فينا صنائعاً

بغيرك لم يظفر بها قط ظافرُ

فعرفتنا بالله رباً وقُدتنا

لطاعته والناس هالك وخاسرُ

وجئت لنا من ربنا بكتابه

يقص علينا ما لا تعيه الدفاتر

بجاهك نلنا ما "بكنتم" فيالها

وذلك فضل الله والفضل ظاهر

اغثني وصحبي كلهم وأرأفنْ بنا

وقل يا مجذوب عندي عواطر

عليك سلام من المولي ورحمة

ألا يا رسول الله إني قاصِرُ

فالشاعر يتحدث عن هيامه وحبه لزيارة طيبة وهي مدينة الرسول صلي الله عليه وسلم شوقه الذي فاق حد الوصف فتارة يراها مائلة أمامه وتارة يناظرها ويتذكر أيام مبيته فيها في المسجد النبوي الشريف القوم يبكون من حبهم للمصطفي وشغفهم به وتذكر ساعات وقوفه بها ساعات عند قبر المجتبى يصلي عليه وأصحابه وتذكر الأماكن التي كان يتردد عليها مثل الروضة الشريفة ودكاك الزيت ثم يشاهد القبة الخضراء مضيئة منيرة بمن ثوى داخل هذه الأماكن ثم يسلم علي نبي الأمة الذي سلب جماله كل فكر وقلوب وكم هام به وتحير في جماله من رجال ذلك النبي الذي خر ساجداً لربه في ليلة الإسراء والمعراج وهو الشفيع يوم الحساب الذي كم فرج من كروب بعد أن لاقته الكروب والمصائب من كفار قريش قم جاء بعدها الصبر والفرج والبشائر فأنت يا رسول الله الذي عرفتنا برب العزة والجلالة وأنت الذي جعلتنا نعبد الله علي بصيرة ويكفيك فخراً انك قد جئت لنا بمعجزة القرآن كتاب الله المنزل ليقص ويوضح لناما تعجز الدفاتر عن مجاراته وبمحمد نلنا قوله تعالي (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)[١]. وهذا فضل من المولي عميم علي محمد وأمته ثم يختم ويطلب من رسول الله نجدته وأغاثته به وبصحبه والرأفة بهم يوم لا ينفع مال ولا بنون لا من أتي الله بقلب سليم ثم يختم بالصلاة والسلام علي رسول الله ويوضح انه مقصر في حقه وقد يكون قاصر في حقه وقد كون قاصر يطلب من الرسول صلي الله عليه وسلم وهو شئ ملاحظ في قصائد المجذوب وهو المجذوب وهو ذكر اسمه في النهاية والصلاة علي النبي وطلب الاستغاثة والتوسل به.

[١] سورة آل عمران الآية ١١٠.

ومما لا شك فيه أن شاعرنا قد تناول النور المحمدي الذي شغل الصوفية ردحاً من الزمن وأثر ذلك في المدائح النبوية وقد أولها الصوفية تأويلاً خاصاً فالنور المحمدي عندهم هو الروح الإلهي الذي نفخ الله منه في آدم هو أشبه بالعقل الذي قال به أفلاطون وعدة أول الفيوضات التي صدرت عن الواحد الحق[١].

ومن آثار نظرية النور المحمدي علي مداح النبي صلي الله عليه وسلم قولهم بتسلسل النور المحمدي من آدم إلى النبي صلي الله عليه وسلم وبأزلية نبوة محمد صلي الله عليه وسلم وها هو الإمام الصرصري [٢]

من القبضة البيضاء طينة آدم

زكت وحماها الله من غير البلي

حتى يقول

وحل من الأصلاب في كل طاهر

من إلزام عن وصم السفاح تعذلا

وكل حشا طابت وطاب نحارها

وما زال فيها طيباً متنقلا

إلي أن بدأ في طالع السعد كامل

المناقب والأخلاق والنور والحُلي

وقال الشيخ محمد بن سيد اليعمري[٣]

يا من له أوجب الله النبوة

إذ في الطين ادم لم يزل محمول

هذا الرسول الذي كانت نبوته

وطين آدم في الفردوس مجهول

---

[١] زكي مبارك – التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق ج١ – ط٢ – ص ١٥٩.

[٢] يوسف بن إسماعيل النبهاني – المجموعة النبهانية في المدائح دار المعرفة بيروت ١٩٧٤ ص ٧٢.

[٣] نفس المرجع السابق ص ٧٣.

وقد قال النبهاني في حقيقة النور المحمدي انه لولا النبي محمد صلي الله عليه وسلم ما كان إنسان ولا جماد ولم يخلق الوجود وعلة ذلك أن الحقيقة المحمدية هي الوصل بين الله والناس والقوة المدبرة التي يصدر عنها كل شئ[1].
أما النور المحمدي في شعر محمد المجذوب قمر الدين فقد صوره في أبيات منها [2].

وأشاهد النور الذي في طيبة

ولوجهه الضاوي أشوق وأعشق

نور بدا من قبل نشأة آدم

منه الوجود جميعه متخلق

فأبو الحقيقة أحمدُ إن رُمته

وأبو المجاز آدم قد حققوا

سبق الوجود جميعه في الفضل بل

في الحشر أيضاً قد يسوق ويسبقُ

فالشيخ المجذوب يري في حقيقة النور المحمدي "أن نور رسول الله" هو المتخلق منه جميع الوجود وهو المكوّن قبل بروز أبيه آدم وقبل ظهور كل العالم وانه الأب لجميع الحوادث فان أردت أصل الحقيقة فآدم هو الصورة وفي المعني الأبوة ثابتة له صلي الله عليه وسلم وقد قال أبيات في حقيقة النور المحمدي كثر[3].

آدم من أجله يالك

من ولد قبل أبيه كونا

فحقيقة النور المحمدي ثابتة عند جميع المتصوفة والمجذوب يري ما يراه السابقون.

---

[1] نفس المرجع السابق ص ١٢٥

[2] محمد مجذوب قمر الدين – ديوان المجذوب ص ١٢٩.

[3] محمد الطاهر المجذوب – مناقب الشيخ المجذوب ص ٧٩ – ٨٠

والنبي صلي الله عليه وسلم في نظر شعراء المديح والتصوف ليس نبياً محب بل الحبيب الذي يتولهون به وفي حبه وهو الحبيب الذي ترج شفاعته يوم الفزع الأكبر فمحمد هو الشفيع في ذلك اليوم العسير فالشيخ البوصيري يقلو[١].

هو الحبيب الذي ترجي شفاعته

لكل هول من الأهوال مقتحم

وما مدحهم للنبي صلي الله عليه وسلم ألا تعبيراً للعيب تحليل

جاءت بحبي وتصديقي إليك وما

حُبي مشُوب ولا التصديق مدخول

أما الشيخ البرعي فيقول [٢]

والي حبيب الزائرين محمد

طربت حُداة العيس بالأعناق

يهديهم في الليل نور جلاله

كالشمس طالعة علي الآفاق

فالبوصيري والبرعي وهم من شعراء المديح يرون انه لا ملاذ في ذلك اليوم غير محمد البشير الشفيع ترداداً لقوله "سل تعط" فيا له من قمر وشمس طالعة علي الأعناق وله جلال يهدي الناس في الليل الدامس وهو الحبيب ألمُرجي يم لا ينفع الناس إلا عملهم.

يقول جعفر بخيت في المديح النبوي

بوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه.

---

[١] شرف الدين بن عبد الله محمد البوصيري – ديوان البوصيري – تحقق سيد كيلاني طبع الباب الحلبي مصر ط١ ١٩٥٥م ص ٢٩٣.

[٢] عبد الرحيم البرعي من المدائح الربانية والنبوية والصوفية – مطبعة حجازي القاهرة ١٩٥٢ ص ٨٥.

وهو ما ينطبق علي شعر المديح عند المجاذيب فالشيخ المجذوب له قصائد كثيرة في

هذا المعني بل قد يكاد الديوان كله يحتوي علي هذا المعني يقول في الشفاعة [١].

مدحناه نرجو منك ترضي مديحنا

ونرضيه عنا وهو عندك شافعُ

وصل اله العالمين وسلمن

علي احمد والآل والصَحبِ تابعُ

محمد مجذوب يقول مديحه

ولي منه مثل العَالمينِ مطامعُ

[١] محمد مجذوب قمر الدين – ديوان المجذوب – ص١٣٢.

ففي هذه القصيدة يختم داعياً الله طالباً منه الرضي ويمدح المصطفي (صلي الله عليه وسلم) طالباً شفاعته لله رب العالمين ويصلي ويسلم علي الرسول واله وصبحه ويقول المجذوب يمدح الرسول وله مطامع وحاجة وهي الشفاعة والنجاة يوم القيامة.

ثم يقول في قصيدة أخري موضحاً هذه المآرب والغايات والمطامع والمقاصد حيث ينشدها[١]

يا سيدي إني مدحتك قاصداً

من فيض جاهك إنني قد أُعتِقُ

فمحمد مجذوب قال لربه

ربي بجاه المصطفي فلتُرِفقُ

صلي عليك الله يا نور الهدي

والآل والصَحبِ الكرامِ تُطبِقُ

فأي قصيدة مجذوبية نري أنها قد ختمت بالصلاة والسلام علي الهادي البشير ثم يطلب الشيخ في نهايتها وخاتمتها الشفاعة بعد ذكر اسمه.

وهو ما نلمسه عند الشعراء السابقين مثل البرعي فهو يقول خاتماً قصائده النبوية في مدح خير البرية يقول[٢]

وجعلت مدحي فيك يا علم الهدي

سبباً وأنت وسيلة المتسببِ

فاقل عثار عُبَيْدك الدَاعي الذي

يَرْجُوك إذ راجيك غير مخيبِ

وأجر بها عبد الرحيم كرامة الدارين

خير جزاء نظم مُعِربِ

---

[١] نفس المرجع السابق ص ١٣٠

[٢] عبد الرحمي البرعي – ديوان البرعي في المدائح الربانية والنبوية والصوفية ص ٦٥.

وأشفع له ولمن يليه وقُم بهم

في كل حال يا شفيع المُذنبِ

ومما لا شلك فيه انه صلي الله عليه وسلم كان أكمل الناس خُلقاً وخَلقاً وأفصحهم لهجة وأصدقهم ذكراً ونطقاً اشتملت ذاته علي أنواع الحسن والجمال مربوع القامة يعلو ويسمو علي طوال الرجال ابيض اللون مشرباً بحمرة واسع العينين أكحلها أهدب الاشفار أزج الحاجبين مفلج الأسنان واسع الفم والجبين قليل لحم العقب كث اللحية ، عظيم الرأس بين كتفيه خاتم النبوة يعلوه النور ويعمه عرقه كاللؤلؤ تأخذه النساء لطيبها أطيب من المسك يتكفأ في مشيته كأنما ينحط من صبب يتلألأ وجهه كما القمر ليلة تمامه كثير التواضع يخصف نعله ويرفع ثوبه يخلب شاته ويخدم في أهله من عجن وكنس وتقطيع لحم ولن يعبيه ذلك يحب المساكين يجلس معهم يعود مريضهم يشيع جنائزهم لا يحقر فقيراً لفقره ولا يهاب ملكاً لملكه يقبل عذر المعتذر ولو كان كاذباً لا يقابل أحد بما يكره لا يمنع طالباً ، يمشي مع الأرملة والعبيد يغضب لله ويرضي لرضاه يقدم أصحابه أمامه ويمشي خلفهم وهو الإمام يركب البعير والفرس والبغلة والحمار بلا استنكار عصب عل بطنه الحجر من شدة الجوع أوتي مفاتيح الخزائن يقل اللغو في الحديث يبدأ من لقيه بالسلام، يقصر الخطبة ويطيل الصلاة لنيل المرام يتألف أهل الشرف ويكرم أهل الفضل يمزح ولا يقول إلا حقاً حتى في المزاح يجلس في الأكل مع المساكين والضعفاء والأرّقاء يحب الطيب والنساء جعلت قرة عينه في الصلاة يحبه ربه ويكرمه يعزه ويرضاه، دائم الفكر طويل السكوت يقنع ويرضي بالقليل نظره الي الأرض أكثر الي السماء منحه الله عقلاً وفهماً وعلماً [١]

بلغ اللهم روحه الشريفة

---

[١] محمد مجذوب قمر الدين – ديوان المجذوب ص ٨٣ – ٨٤ .

صلوات طيبة منيفة[1]

في الذكر باسم الله توجت السور

وبه أتو خير ميلاد أغر

فالحمد والشكر الجليل مع الثناء

لمن يطيب بذكره نشر السير

سبحان ذي الذات العلية من بهر

بسنا محيا من له أنشق القمر

شرف سما وسنا بخير الخَلَق من

لولاه ما كان الوجود ولا ظهر

تتنزل الرحمات فيه إذا قرى

كم فيه فضل و أحساب عمر

يارب عطر خير قبر ضمه

بشذا من الصلوات وامنح لثمه

فالشاعر يمدح صفات المجتبى الخَلقية والخُلَقية حيث يقول سناه ومحياه كما القمر الذي أنشق له فلولاه ما كان الوجود امتداداً للنور المحمدي مرسل رحمة للعالمين ثم يطلب من الله سقي اقبره بشذا وعبير وأريج الصلوات صلى الله عليه وسلم تسليماً كثير "إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا وسلموا تسليما" صلى الله عليه وسلم.

---

(١) نفس المرجع السابق، ص٨٩، ٩٠.

ثم يواصل المجذوب مدحه فيقول:

الله أكبر ما أعز مقامه

وجنابه وجماله رب الفجر

الله صوره وأبدع حسنه

فتبارك الرحمن هو منشئ الصور

ناهيك بالهادي الشفيع محمد

من مرسل للعالمين أتى فسر

شمس البنين الكرام إمامهم

نور الهدى بحر الندى خير البشر

هو صفوة الرحمن أكرم مصطفى

طاب به النجار وتم سما الفخر

يقول المجذوب الله جل جلاله صوره فأبدع في خلقه فتبارك الرحمن ثم يتحدث عن الهادي البشير شفيع الأمة وكاشف الغمة المرسل رحمة للعالمين "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين".

وقد وصفه بأنه شمس البنين وتشبيه بالشمس دلالة على السطوع والبريق والوضوح وهو إمامهم فهو بحر الكرم ونور الهدى وخير البشر وهو من اصطفاه الرحمن وطاب به بنو النجار أجداده لأمة ونعم الأصل ونعم النسب ونعم الفخر.

ثم يواصل في مدح شمائله وصفاته الخلقية فيقول

هو في جميع الناس أكمل في الورى

خَلقاً وخُلقاً سيد الرسل الخير

ذو قامة مربوعة رب الجمال

وكان أبيض لونه كَسَنَاً بهر

وبحمرة ذآك البياض مشرب

صلى عليه الله من ينشئ الصور

هو واسع العينين أكحل أدعج

هو أهدب الأشفار رب المفتخر

أيضاً أزج الحاجبين مفلج

الأسنان ثقرة واسع يبدي الدرر

وجبينه السنى كذلك واسع

فكأنما البدر المميز به ظهر

وخفيف لحم العقب أشرف من سما

ذاتاً ووصفاً م به شرفت مضر

ضخم الكراديس وكث اللحيه

صلى عليه الله ماتليت سور

وكذلك العرق الشريف كلؤلؤ

أيضاً يفوق المسك ينفح في الحجر

إذا مشى خير الورى يتكفأ

فكأنما ينحط من صبب الصخر

وأشد من عذراء حياء في الخبا

نفسي الفداء لمن حُبي ذاك الفخَرْ

وحبي التواضع كان يخدم أهله

ايضاً ويحلب شاته ما الضرع درْ

وكذا يرفع ثوبه ايضاً ويخصف

نعله هو خير من وطي العفَرْ

وعلي مساكين العباد يسلّم

ويحبّهم ما قط ذا فقر حقَرْ

ويعود مرضاهم ويجلس بينهم

وكذا جنائزهم يشيع للحفَرْ

ايضاً ويقبل من صحاب عذرهم

بل لا بمكروه يقابل من حضَرْ

يمشي مع العبدان بل والأرملة

لم يخش من ملك ولا ليث زأَرْ

لله يغضب يستعيذ بربه

لرضاه يرضي عنه بعين رضا النظَرْ

ويقدم الأصحاب يمشي خلفهم

ويقول ظهري للملائكة الغرَرْ

ومما لاشك فيه أن هذه الصفات وغيرها قد تعرضت لها نثراً في الجزء السابق لهذا الكلام.

وأنا أتحدث عن المديح النبوي ألاحظ وجيه الشبه بين قصائدهم النبوية التي زخرت بها دواوينهم فخواتيم قصائدهم متشابهة في الدعاء لأنفسهم والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم ثم طلب شفاعته لهم يوم الحساب والفزع الأكبر الذي يتولهون به يقول البوصيري

هو الحبيب الذي ترجى شفاعته

لكل هول من الأهوال مُقتحم[1]

ومدحهم للنبي صلى الله عليه وسلم تعبيراً عن هذا الحب

هاخلة بخلال منك قد رقمت

ما في محاسنها للعيب تحليل

جاءت بحبي وتصديقي إليك وما

حبي مشوب ولا التصديق مدخول[2]

أما الشيخ البرعي فيقول [3]

وإلى حبيب الزائرين محمد

طربت جداه العيس بالأعناق

يهديهم في الليل نور جلاله

كالشمس طالعة على الآفاق

والشيخ المجذوب يقول في الشفاعة[4]

محمد مجذوب يقول مديحه

---

١ ! شرف الدين ابي عبد الله محمد البوصيري – ديوان البوصيري ص ١٩٣

٢ نفس المرجع السابق ص ١٩٣

٣ عبد الرحيم البرعي – ديوان البرعي في المدائح الربانية والنبوية والصوفية ص ؟؟ ؟

٤ محمد مجذوب قمر الدين – ديوان المجذوب ص ٨٧

ولي فيه مثل العالمين مطامع

والشيخ البرعي جعل للرسول سبباً ليكون شفيعاً ويقول أنه يرجو الله أن يغفر له ذنوبه ويقول رجاء الله غير مخيب ويرجو أن يحوز عبد الرحيم كرامة الدنيا وشفاعة الآخرة ويشفع له رسول الله عند ربه ولمن يليه فهو شفيع المذنبين يوم تكثر الذنوب كذلك الإمام البوصيري له قصائد اشتملت على نفس الخواتم في طلب الشفاعة وغفران الذنوب يقول فيها

لجود المصطفى مُدت يدانا

وما مدت له أيد تخيبْ

شفاعته لنا ولكل عاصٍ

بقدر ذنوبه منها ذنوب[1]

صلاة الله ما سارت سحابْ

عليه وما رسا وثوى عسيب[2]

فالبوصيري يقول لكرمه وجوده صلى الله عليه وسلم مددنا أيدينا فما مدت له يد ورجعت خائبة فهو الأمل الذي يرجى كما ترجى شفاعته لنا من ذنوبنا ثم يصلي على المصطفى صلاة تملأ الأرض والسماء بعدد ما سارت السحب وجادت المطر وما ثوى وأقام جبل عسيب .

---

١ ذنوب : نصيب

٢ عسيب : اسم جبل

المبحث الثاني

ذكر المعجزات

مما لاشك فيه أن معجزاته صلى الله عليه وسلم وكراماته قد فاقت حد الوصف كيف لا وهو نبي هذه الأمة المرسل رحمة للعالمين إمام هذه الأمة وشفيعها يوم الحساب يوم الحشر الأكبر هذا النبي الذي إذا ذكرت معجزاته التي بهرت الخلق لكانت نبراساً يهدي الخلق إلى الصراط المستقيم والنور العميم نور الإسلام كيف لا وهو خير الأنام ونعم الإمام فلنبحر من معجزاته وخوارقه التي فاقت حد الوصف .

وفي معجزة ولادته إنه لما حملت آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتقل نور من عند الله اليها على الوجه الأتم فجاءها قائل يقول: يا آمنة لك البشرى والهنا قالت فأتاني آتٍ وقال أكتمي أمرك فقد يكون لولدك شأن عظيم وبعد أيام ذهبت إلى بيت الله الحرام لعبادة الأصنام فلما تقدمت للصنم وقع الصنم الأكبر ساجداً لهيبته سيد البشر ولما بلغ حملها سبعة أشهر مات أبوه وهو في بطنها مات أبوه في المدينة بعد رجوعه من الشام وله من العمر ثلاثون عاماً وضجت ملائكة السماء وقالوا إلهنا بقي حبيبك يتيماً قال تعالى أنا حافظه وناصره وأنا خير له من أمه وأبيه ولما آن أوان الطلق طلق النفاس ولم يبلغ به أحد من الناس حف وأحاط به وبأمه من الجنان خضر الأطيار تسترها عن أعين العباد.

أضاء نُور لامِع كالعسجد
من حُسنهُنْ البيت عِندٌ المشْهد
ياربّ أسعد ما وحْى مُحمُد

وسامعي قَراء ذِكر المَولِد

يقول الشيخ المجذوب عن معجزة ولادته[1]

صليّنا مُشتاقين لسيد الكونين

صلينا مشتاقين لِغرّة العينيّن

شرعنا بالمٌعِين الواحِد المُبين

ذي القُوةِ المتين إياهُ نستعِين

روينا في المسطور يوم ولِد المنصَور

الحُور في القُصور يفرْحن بالسِرُور

روت لنا العُدول يوم ولِد الرسُول

السٌعد نقول ظفرْنا بالمأمُول

في ساعة الوُضُوع أشار بالخِضُوع

برأسه المرفُوع لله بالخشِوع

أبته مُرضِعات من يُتمِه فارات

فازت به وجات حليمة السعدات

ياحبذا ربيع بمولد الشفيع

الأشهُر الجميع إليه حق نطيع

مما لاشك فيه أن معجزات النبي صلى الله عليه وسلم قد فاقت حد الوصف ومما لاشك فيه إنه قد ظهرت عند ولادته خوارق وغرائب غيبية إرهاصاً بنبوته

[1] محمد المجذوب قمر الدين – ديوان المجذوب ص ٦٤ ، ٦٥.

وإعلاماً بأنه مختار ومجتبى ومصطفى ومرتضى من الله سبحانه ليكون حامل لوائه إلى أمة المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها صلى الله عليه وسلّم.

ففي قصيدته التي بدأها بالبسملة يقول المجذوب [1]

ببِسم الله ذا الأعلى

بأنا مدحه أحلى

مدحنا سيداً عالي

حبيباً ذكره حالي

وفي وسط السماء يُتلى

** **الإسراء والمعراج** : ومما لاشك فيه أن من سبق شاعرنا المجذوب من شعراء المديح قد تحدثوا عن معجزات وخوارق ولادته وهاهو جمال الدين زكريا الصرصري المتوفى عام (٦٥٦) يتحدث عن ولادته فيقول [2]

حملته آمنة الحصان فلا تجد

ثقلاً إلى أن حان منه بداره

ورأت قِصُور الشام حِين تشعْشعت

أنوارِه وتباشرت حُضاره

وضعته مختُوماً وأضحى ساجِداً

وكساهُ حُسناً باهِراً مُختاره

لا بِالطويلِ ولا القصِير وإن مشى

بين الطِوال علتهُمُ أنوارِه

---

[1] محمد المجذوب قمر الدين – ديون المجذوب ص ١٥

[2] د. عبد الله الطيب المرشد لفهم اشعار العرب وصناعتها ١٩٩٢م.

وقد ولد الرسول صلى الله عليه وسلم مقطوع السرة مختون مكحل وقع على الأرض معتمداً على يديه رافعاً طرفه إلى العلا يشير مسبحاً ربه الذي أظهر فضله فرمقته آمنة بنت وهب أمه ببصرها فإذا هو أضوأ من الشمس وأنور من البدر وصفه إنه أزهر اللون أدعج العينين أهدب الأشفار أبلج واسع الصدر والجبين ليس بالطويل ولا القصير ما ماشاه أحد إلى الطوال إلا طاله ولا جاله جليل إلا فاقه إذا افتر ضاحكاً مثل سنا البرق.[١]

ورغم سؤال الطيور والملائكة والحور تغذيته ورضاعته وتربيته وحضانته إلا أن الله قَّدر ألا ترضعه إلا حليمة التي روت إنا أصابتنا بني سعد سنة شهباء فأتيت عبد المطلب أن يجعلني أجيرة عنده لترضع المجتبى فقال ما اسمك وما عربك فقلت اسمي حليمة السعدية ومن صميم العرب العربية فقال هل لك برضاع يتيم تكونين به من السعداء قلت نعم فأرسلني إلى آمنة الحوراء قالت نعم فشاورت بعلي فقال أرنيه فقلت لأمه حليمة فأخذنا راضين وبتنا في تلك الليلة آمنين وكنت قبله يابسة الصدر حتى أن ولدي قبله لا يشبع فدّر اللبن وجرى كالأنهار قالت حليمة فما زال معنا حتى نشر الله علينا بركاته النعماء ومما لا شك فيه أن أثر الأسلوب القصصي يرى واضحاً عند المجذوب يقول المجذوب" أن الله كتب له أن يكون رضيعاً لحليمة السعدية عند قدومها في سنة جدباء من بني سعد إلى مكة تلتمس الرُضعاء فعرض عليها صلى الله عليه وسلم ، وعلى جميع من معها فأبين أخذه لما قيل أنه يتيم فشاورت زوجها وقالت أكره أن أرجع من بين صاحباتي وليس معي رضيع لأنطلقنَّ لذلك اليتيم الذي أبينه فلأخذته فعسى به أن أدخل الجنة الكبرى إذ خرج من ثديها اللبن فأرضعته وأرضعت ابنها معه كان النور يخرج من عينيه ويخترق حُجُب السماء[٢] ،

---

[١] محمد مجذوب قمر الدين – ديوان المجذوب ص ٦٩.

[٢] محمد طاهر المجذوب – مناقب المجذوب ص ٧٨.

فالمجذوب يصور ما ظهر لهذه السعدية من معجزات النبي وهي صورة حية لهذا الحادث فيقول[1]

حلِيمة أرضعِي هذا المُفدّى

هذا الذي حُسنه ما زال فرْدا

فإذا تبدّى يا حليمة فابشِري

بالقُرب لا تلقِين بعد اليّوم صدا

فلكِ الهنا بِرضاعِه وهو الذي

عن وجهِه قمر الملاحة ما تعدّى

قولي لبِعلك لا تخف هذا الذي

نلقى به في كل ما نبغِيه قصدا

ففي الأبيات أعلاه تصوير رائع لهذه الحادثة وقد صورها صوفية القرن الخامس الهجري حيث أزدهر في المديح النبوي ولمعت أسماء بعض الشعراء الذين اشتهروا بالمديح النبوي كالبرعي والإمام السقراطيسي .

يقول السقراطيسي المتوفى عام ٤٩٦م في معجزة رضاعته[2]

والشاه لما مسحت الكف منك

على جهد الهزال بأوصال لها قحلِ

سَحت بدرّة شُكري الضرعِ حَافلة

فردت الركب بعد النهل بالعللِ

فالشاة در لبنها وسح وملأ المكان بعد أن جف الضرع ودب الهزال فبإرضاع المصطفى وكراماته ومعجزاته عاد اللبن إلى الثدي الماحل والضرع القاحل فنعم الرسول ونعم الأمل والمأمول. كذلك تناول البوصيري معجزة إرضاعه وصورها فقال[3]

---

[1] محمد مجذوب قمر الدين – ديوان المجذوب ص ٤٣

[2] يوسف اسماعيل النبهاني – المجموعة النهائية، دار المعرفة بيروت ١٩٧٤م.

[3] شرف الدين ابي عبد الله محمد البوصيري – ديوان البوصيري ٨٣

بدت في رضاعه معجزات

ليس فيهن للعيون خفاء

أتته ليتمه مُرضعات

قلن ما في اليَتِيم عنا غَناء

فأتته من آل سعد فتاة

قد أبتها لفقرها الرُضعَاء

أرضعته لبانها فسقتها

وبنيها ألبانهنّ الشّاء

فالإمام البوصيري يصور في همزيته المعجزات التي حدثت لرسول الله صلى الله عليه وسلم في رضاعته فقد حدثت معجزات واضحة ليس فيها خفاء فقد أبته المرضعات في سنة عديمة النبات عندما علمن أنه يتيم فأخذته حليمة التي معهن ورفضن كل القرشيات أن يعطينها أطفالهن لفقرها وعوزها.

ثم تأتي معجزة النور المحمدي في شعر المجذوب فقد صوره في أبيات يقول

فيها[1]

وأشاهد النُور الذي في طيبةِ

ولوجهه الضاوي أشوق وأعشقُ

نور بدأ من قبل نشأة آدم

منه الوجود جميعه متخلقُ

فأبو الحقيقة أحمد إن رمته

وأبو المجاز آدم قد حققّواُ

سبق الوجود جميعه في الفضل بل

في الحشر أيضاً قد يسوق ويسبقُ

---

[1] محمد مجذوب قمر الدين – ديوان المجذوب ص ١٢٩.

فالشيخ المجذوب يرى أن حقيقة النور المحمدي " أن نور رسول الله صلى الله عليه وسلم هو النور المتخلق منه جميع الوجود وهو المكون قبل بروز أبيه آدم وقبل ظهور كل العالم وإنه الأب لجميع الحوادث إذا أردت أصل الحقيقة وآدم هو أبو الصورة وفي المعنى الأبوة ثابتة له صلى الله عليه وسلم[١].

فحقيقة النور المحمدي ثابتة عند جميع المتصوفة وهو يرى ما يراه السابقون ها هو النبهاني يقول في حقيقة معجزة النور المحمدي إنه لولاه محمد صلى الله عليه وسلم ما كان إنسان ولا جماد لم يخلق الوجود وعلة ذلك أن الحقيقة المحمدية هي الوصل بين الله والناس وهي القوة المدبرة التي يصدر عنها كل شئ[٢].

روى عن كعب الأحبار رضي الله عنه إنه لما أراد الله خلق المخلوقات وخفض الأرض ورفع السماء قبض قبضة من نوره ليظهر قدرته لظهوره وقال لها كوني محمداً فصارت من نوره عموداً وأشرف حجاب العظمة فسجد له سجوداً

فقال الله تعالى لذلك خلقتك وسميتك مُحمداً بك وبك يَحسُن النظام وبك أختم الأنبياء الرسل الكرام.

ثم خلق الله آدم عليه السلام منه أيضاً بلا كلام فأودع فيه ذلك النور الأتم وأسجد له الملائكة وادخله الجنّة وأنعم عليه ووقفت الملائكة خلفه صفوفاً ينظرون إلى نور محمد حتى انتقل النور إلى أصبعه السبابة فما زال هذا النور يتلألأ في أصبعه مادام في الجنّة حتى أصابه الشيطان فتشفع به لحضرة سيده الرحمن فقال يارب بحرمة ولدي محمد الذي أطلعتني عليه مقروناً مع أسمك يا صمد أغفر لي ما حصل مني من تقصير فغر الله له وتاب عليه قال تعالى " فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم ".

---

[١] محمد طاهر المجذوب – مناقب الشيخ المجذوب ص ٧٩، ٨٠

[٢] يوسف اسماعيل النبهاني – المحموعة النبهانية ، ص ١٢٥.

أنت الذي لما توسل آدم

من ذنبه بك فاز وهو أباك[1]

ومن معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ما صوره من المعجزات التي أذهلت وحيرت المشركين[2] .

يقول المجذوب:

ومحمد مِن ربِه قد حبه

ورآه منه عجائباً لا تُنطقُ

ما مدَّ يوماً للسحابة أصبعاً

إلا وجادت مُزنها يَتدفقُ

عرف السحاب مقامه ففداه من

حر الهجير من بنفسه يتحلقُ

وكذا الزراع بُِسمه قد أفصحا

لمحبه فيه يحّن ويشفِقُ

والجزع حنّ لفقده متألماً

حتى أتاه وضمه إذ ينعِقُ

فلكم وكًم لمُحمد من مثل ذا

لا تعْجَبنْ من ضبِه إذ ينطِقُ

ففي هذه الأبيات يقول الشيخ المجذوب أنّ محمد صلى الله عليه وسلم قد خصه الله بمحبته دون سائر أبناء جنسه وقال فيها ما مد قط يده إلى السماء طالباً السُقيا إلا وجادت السماء بودقها ومزنها ومطرها هاطلاً يتدفق في الحين والساعة .

---

[1] يوسف اسماعيل النبهاني – المجموعة النبهانية ،١٢٥.

[2] محمد مجذوب قمر الدين – ديوان المجذوب ص ١٣٠.

وقال إن السحاب عرف علو مقامه فأظله من حر الشمس وقال أفصح له الزُراع بالقول حين سمّ له وقالت أني مسمومة شفقة ومحبة فيه وقد حنّ إليه الجذع الذي كان يخطب فيه لمَّا فقد مشاهدته لفراقه حتى ذهب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وضمه إليه شفقة وحناناً منه له وحين ضمه نحق الجذع على سمع صوته جميع من في المسجد وقال هذه المعجزات وأمثالها كثيرة جداً وقوعها للنبي صلى الله عليه وسلم أما تعجبن من نطق الضب حين رُمي بين يديه وإفصاحه بالقول بالشهادة له بالرسالة[1].

ومما لاشك فيه أن هذه المعزات قد تناولها كثير من شعراء التصوف وهاهو الشيخ البرعي يقول في معجزاته صلى الله عليه وسلم[2].

أليس إنشقاق البدر معجزة له

وظل غمام الجو عند الهَواجِر

وسجدة إجمال سجدة ظبية

وحنة جذع من هشيم المنابِرِ

وإخبار عضو الشاة أني مسممُ

فتباً لأفعال اليهود الأصاغرُ

فمن معجزاته انشقاق القمر وظل الغمام لفحة الشمس وسجد البعير والظباء له ومن معجزاته أن الجذع حنّ له تألماً لفراقه وقد كان صلى الله عليه وسلم يخطب عليه ومعجزاته كثيرة لا تحصى وقد صورها الشاعر تصويراً رائعاً وقد صور المجذوب هذه المعجزات في أسلوب نثري جميل إضافة للشعر وكذلك ميلاده الشريف ومعجزاته جمة فقد وقف الشاعر عندها كثيراً وأوردها في أكثر من قصيدة فهو يقول[3]

---

[1] محمد طاهر المجذوب – مناقب الشيخ المجذوب ص ٧٩، ٨٠.

[2] عبد الرحيم البرعي – ديوان البرعي ص ١٠٦.

[3] محمد الطاهر المجذوب – مناقب الشيخ المجذوب ص ٩٢، ٩١

وبدت عجائب عند مولده الشريف

كذا وقد جلت خوارقه الكثر

فيه السماء نور حفظاً لقد بدت وقد

رجمت بشهب كل مُسمع قفر

وأضاء نورٌ خارج معه

قصور الشام أبصره بمكة من نظَر

وارتج إيوان لكسرى راسخ

فأبان عن صدع عال فيه خر

بل فاض وادٍ في سماوه وهي لا

ماء بها يروي الظمأ ولا مطر

والنار قد خمدت بفارس عندما

غاصت بحيرة ذكرها ثم أشتهر

فالمجذوب يقول عن معجزاته وخوارقه صلى الله عليه وسلم[1] وبدأ عند ولادته معجزات وخوارق وغرائب وإرهاصات علامات تُفهِم أن هذا المولود هو محبوب الرب الأعلى فسبحانه من رفعه وخرق به العلا وحفظت السماء من استرق السمع ورُجمت الشياطين وخاص من المردة الدمع واستنارت بنوره أرجاء الحرم الحرام وخرج معه نور أضاءت له قصور الشام رآه بمكة، وانصدع وتشقق إيوان كسرى ملك الفرس بعد أن رفعه انوشروان وسقطت شرفاته لشرف المصطفى سيد الخلق أجمعين وكُسر ملك كسرى وهان واختفى وخمدت النيران المعبودة بأرض فارس وغاصت بُحيرة سماوة وعمتها الطوامس ومُحيت آثارها وغاص وادي سماوة وانجلت عنه الغشاوة[2].

---

[1] محمد مجذوب قمر الدين – ديوان المجذوب ص ٨٠.

[2] نفس المرجع السابق ص ٨١.

كذلك نجد ذكر هذه المعجزات عند شعراء الصوفية كالبوصيري فقد صور البوصيري في بردته المشهورة معجزات ميلاد المصطفى صلى الله عليه وسلم تصويراً رائعاً متناولاً ما حدث في ذلك اليوم العظيم[1].

أبان مَوْلِدَه عن طيبِ عُنصِره

يا طيب مُبتَدأ منهُ ومُختتم

يوم تفرس فيه الفرس أنهمُ

قد أُنزروا بحلول البؤس والنِقَمِ

وبات إيوان كِسرى وهو منُصدعُ

كشمل أصَحاب كِسرى غير مُلتئمِ

فالإمام البوصيري يوضح تلك المعجزات التي حدثت له صلى الله عليه وسلم في يوم مولده حيث أظهرت وكشفت آيات ومعجزات مولده خلوص آبائه وطيب أصله فيقول يا طيب منه مبتدأ ومختتم وقد أُختلف في المبتدأ والمختتم قيل المبتدأ آدم والمختتم عبد الله ومنهم من قال المبتدأ هاشم والمختتم صلى الله عليه وسلم وقد أُنزر الفرس في هذا اليوم بنزول الشدة والنقمة والعقوبات وبات إيوان كسرى متصدعاً غير ملتئم وما زالوا في تفرق وتشتت حتى جاءت بشائر الإسلام[2].

ثم يتحدث عن خمود نار الفرس وسكون النهر

والنار خامدة الأنفاس من أسَفِ

عليه والنهر ساهي العين من ندمِ

فالنار المقصود بها نار الفرس أصبحت خامدة من شدة الحرق فهي لم تخمد من قبل والمراد بالنهر نهر الفرات الذي كان به قومهم فقد أصبح ساكن العين من شدة الحزن[3].

---

[1] ابراهيم الباجوري – شرح الباجوري على متن البردة للإمام البوصيري مصر ١٢٩١هـ ص ٤١.

[2] شرح الباجوري على متن البردة للإمام البوصيري ص ٤٤، مأخوذة من بحث في المتصوفة جامعة الخرطوم عام١٩٩٥م.

[3] نفس المرجع السابق ص ٤٦.

فالقصيدة الأولى للشيخ المجذوب تصور نفس الحادث في ذلك اليوم من ميلاده صلى الله عليه وسلم ونلمس ذات الواقعة عند البوصيري ونلاحظ في هذه الحوادث كيف عالج المجذوب الخوارق والمعجزات التي حدثت له (صلى الله عليه وسلم) بأسلوب جميل يتضمن عاطفة صادقة أما الإسراء والمعراج فقد كان قبل سنة واحدة من خروجه إلى المدينة والإسراء والمعراج[1] وقد صورها المجذوب بأسلوب نثري وشعري رغم تركيزي هنا على الجانب الشعري فقد كان الإسراء تسلية من الله لرسوله بعد أن عانى الويلات والعذاب من كفار قريش ومن أهل الطائف الذين أستنجد بهم فخذلوه وبالحجارة رموه ومما لا شك فيه أن قصة إسرائه وعروجه إلى السماء من عجائب وخوارق ومعجزات هذا الرسول خير البشر الذي عرج من السماء الدنيا إلى السماء العليا[2].

قيل في ليلة الإسراء والمعراج جاء جبريل بالبراق واخذ بعضد النبي صلى الله عليه وسلم حتى أتى به المسجد الحرام والبراق مسرج مُلجم في يد أحد الملائكة ثم استوي عليه صلى الله عليه وسلم فأمسك جبريل الركاب وميكائيل الزمام ثم توجهوا به إلى بيت المقدس ومروا بطيبة البقاع ثم مدين ثم ميلاد المسيح فصلى وسبح لله ثم دخل المسجد وجماعة من النبوة عاكفون بصلاة فأذن فصلّى بهم صلى الله عليه وسلم ولما فرغ من الصلاة نادي يا إسماعيل دل المعراج فدلاه فإذا به مائة درجة صعدت على أولها[3] فصعدنا السلم درجة حتى وصلنا السماء الدنيا فإذا برجل قاعد إذا نظر يمينه ضحك وإذا نظر يساره بكى قلت يا جبريل من هذا قال آدم إذا نظر يميناً رأى أهل الجنة ضحك وإذا نظر يسار رأى أهل النار من أمته والملائكة يستحون ثم سرنا للسماء الثانية وقرع جبريل الباب وهي من حديد ورحب بنا الملائكة بين تسبيح وتهليل لله

1شمس الدين عبد الله محمد ابي بكر ابن القيم الجوزية زاد المعاد في هدى خير العباد –تحقيق شعيب الارناؤط ،ط٢٣ طبع مؤسسة الرسالة مصر ١٩٨٩م.

٢ محمد مجذوب قمر الدين – ديوان المجذوب ص ٧.

٣ نفس المرجع السابق ص ١٠،١١.

سبحانه وتعالى وفيها يحي وعيسى وهم أبناء الخالة فسلم عليهما فردا السلام قالا مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم سرنا في الهواء مسافة خمسمائة عام حتى دنونا من السماء الثالثة سمعت أصوات تسبيح وتهليل لله سبحانه من الملائكة وهي مصنوعة من نحاس وهناك برجل وإذا هو يوسف قال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم سرنا مسافة خمسمائة عام فإذا السماء الرابعة وهي من فضة وفيها رأينا ملك الموت يحمل في يده لوح قال جبريل هذا محمد حبيب الله قال ملك الموت سلام عليك أبشر مما رأيت الخير كله فيك وفي أمتك فقر عيناً وطب نفساً فإذا فيها نبي الله إدريس قال جبريل هذا إدريس فسلم صلى الله عليه وسلم فرد السلام مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بنا السماء الخامسة وبعد السلام وجدنا هارون فسلم ورد السلام مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي إلى السماء السادسة فأستفتح وقال مخي محمد فإذا بسيدنا موسى فسلم وقال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي إلى السماء السابعة فإذا نبي الله إبراهيم قال هذا إبراهيم أبوك وقال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فإذا بنبقها مثل قلال هجر وورقها مثل أذان الفيلة وفيها أربعة أنهار إثنان ظاهران وإثنان باطنان قال جبريل الباطنان نهران في الجنة والظاهران هما النيل والفرات وفي سدرة المنتهى فرضت عليّ الصلاة خمسون صلاة في كل يوم وليلة ثم أنطلقنا على ظهر السماء السابعة حتى انتهينا إلى نهر عليه ياقوت ولؤلؤ وزبرجد أخضر قال هذا الكوثر الذي اعطاكه الله ففيه آنية من ذهب وفضة أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل رائحته كالمسك ثم خرق بي سبعون حجاباً لم أسمع فيها صوت إنس ولا ملك فلحقني إستيحاش فنادى منادي بصوت أبي بكر قال قف ربك يصلي وفي هذه الأثناء كان النداء من العلي الأعلى أدن يا أحمد دن يا محمد ليدنُ الحبيب فأدناني ربي كنت كما قال تعالى " ثم دنا فتدلى فكان

قاب قوسين أو أدنى "[1] فسألني ربي ولم أستطع الإجابة فوضع يده على كتفي وعلمني وأورثني علم الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم.

يقول المجذوب[2]

تدانى فأدناه إلى العرش ربه

وناديِ تقدَم يا وحيد محبتِّي

تلذذ بنا وأسمعَ لذيذ خِطابنِا

وعينك نزِّه في عجائب قُدرتي

تأنس بنا هذا الوِصال وذا اللقاء

فحبّ ومحبُوب وساعة خلوتي

تقرب ولا تجزع وأقبِل ولا تخف

وسل تعط عبدي أنت سيد صفوتي

تعاليت قدراً عِندنا ومكانة

وذِكرك مًرفوعُ فحدث بنِعمتي

روى الرواة لما جلس الحبيب في مقام القرب ودارت كؤوس الجب ثم عاد ما كذب الفؤاد وما رأى بين عينيه وسر فأوحى إلى عبده ما أوحى يقول المجذوب[3]

ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا

سر ارقُ من النسيم إذا سرى

محمد المجذوب قمر الدين – ديوان المجذوب ص ١١،١٢،١٣،١٤. [1]

٢ نفس المرجع السابق ص ١٥.

محمد مجذوب قمر الدين – ديوان المجذوب ص ١٧. [3]

وأباح طرفي نظرة أملتها

فرجعت من فيض الكمال كما ترى

وذكر العلامة ابن مرزوق في شرحه لبردة المديح إنه(صلى الله عليه وسلم) لما كان قاب قوسين أو أدنى من ربه قال اللهّم عذبت الأمم بعضهم بعضاً بالحجارة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالمسخ فماذا أنت فاعل بأمتي ؟ قال الربُ انزل عليهم الرحمة وأبدل سيئاتهم حسنات ومن دعاني منهم أجبته ولبيته ومن سألني أعطيته ومن توكل عليّ كفيته وفي الدنيا أستر على العصاة وفي الآخرة أشفعك فيهم وقد أكثر النبي (صلى الله عليه وسلم)الدعاء لامته في هذا الموضع لما جبله الله عليه من الشفاعة والرحمة.

ولما تدلى (صلى الله عليه وسلم) ومر بموسى في السماء السادسة قال موسى ما فرض عليك ربك على أمتك أنهم لا يطيقون وما زال كذلك حتى قال الله يا محمد إنها خمس صلوات كل يوم وليلة بكل صلاة عشر فتلك خمسون ومن هم من عبادك بحسنة ولم يعملها كتبت له عشر حسنات ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب له فإن عملها كتبت له واحدة ثم جاء قريش فقص لهم ما حدث له في تلك الليلة.

فكذبوه ولم يصدقه إلا قليل منهم وصدقه الصديق ابوبكر ونازعوه ومنهم مكذب ومنهم مصدق رغم ما رواه لهم من الأشياء التي صادفها وشهدوا بأنها حق فأنهم قوم ضالون جاحدون[١].

يقول الشيخ المجذوب في إسرائه (صلي الله عليه وسلم)[٢]

سريت وما عرجت إلا بقدسنا

---

[١] محمد الطاهر المحذوب– مناقب الشيخ المجذوب ص ٧٤.

[٢] محمد المجذوب قمر الدين – ديوان المجذوب ص ١٣١.

ونُجيت فوق العرش والكل جامع

ما بت إلا بالحطيم ومكة

عليك من أثواب الجلال براقع

فأخبرتهم عن بعض ما كان سيد

فكذب كفار فجاءت قواطع

بوصف لبيت القدس وصف مشاهد

فباء بجحد الحق قوم ونازعوا

فالمجذوب في الأبيات عاليه يقول انه (صلي الله عليه وسلم) قد اسري به إلي بيت المقدس وناجاه ربه فوق العرش والناس نائمون ثم رجع في ليلة بائتاً في مكة عليه من أثواب الجلال البراقع النفيسة يحيط به الجلال كما تحيط الثياب بالإنسان فاخبر قومه بما جري في إسرائه فكذبوه ونازعوه فمنهم مكذب ومنهم مصدق ووصف لهم بيت المقدس ووصف لهم وشاهدوه فجحد قوم ضالون[1] فهذه قصيدة طويلة خمسها الشيخ المجذوب ابن الشيخ الطاهر والعلامة الشيخ الشنقيطي وصورها غيره من شعراء التصوف مثال علي ذلك الشيخ البرعي حيث يقول[2]

يا من سري من مكةِ للمسْجِدِ الأقَصى

علي ظهر البُرَاق المُنَجَبأ

يا من تلقته ملائكة السماء

بخطاب اهلاً بالحبيب ومرحبا

يا من تناهي فوق سدرة منتهي

[1] محمد الطاهر المجذوب – مناقب الشيخ المجذوب ، ص ٧٤.

[2] عبد الرحيم البرعي – ديوان البرعي، ص ٦٤.

لعناية سبقت وحق مُوجِباَ

يا من يحن العرش والكرسي إذا

نودي لقرب فاق كل مقربا

فالإمام البرعي مقدر ليلة الإسراء والمعراج للمسجد الأقصى بأسلوب فني راق فيقول أن ملائكة السماء تلقته بالترحاب والابتهال قائلة اهلاً ومرحباً بالحبيب المصطفي فهو الذي وصل سدرة المنتهي حيث لقي ربه وقد خصته العناية الإلهية وايضاً هو من يحن له العرش والكرسي إذا ما نودي يا محمد وهنالك ترفع الحجب ويغشي النور المحمدي نور الجلالة حيث يلقي رب العرش ويخاطبه في ليلة أعظم الليالي وهي ليلة الإسراء والمعراج

ويقول البرعي ايضاً في ليلة الإسراء[١]

محمد سيد السادات من مضر

خير البرية قاصيها ودانيها

بدر سري فوق إطباق السماء له

قد دان من رتب العلياء ساميها

والرسل تشهد بالفضل العظيم له

دنيا وآخرة والله هاديها

نال الذي لم ينله قبله أحد

في ليلة طاب مسراها لساريها

أمسى يخفف من أوزار أمته

ثقلاً ويشفع إكراماُ لعاصيها

---

[١] عبد الله الطيب المرشد إلي فهم اشعار العرب وصناعتها، ص ١١٨٧.

بانت عن المسجد الأقصى ركائبه

تسري إلي العرش لا فخراً ولا تيهاً

والنور يقدمه من كل ناحية

والحجب ترفع عن أنوار باريها

أما الإمام البوصيري فقد صور الحادثة بقوله[1]

سريت من حرم ليلاً إلي حرم

كما سري البدر في داج من الظلم

وبت ترقي إلي أن نلت منزلة

من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم

وقدمتك جميع الأنبياء بها

والرسل تقديم مخدوم علي خدم

حتى لم تدع شأواً لمستبقٍ

من الدنو ولا مرقي لمستنم

خفضت كل مقام بالإضافة إذ

نُوديتَ بالرفع مثل المفردِ العلم

حيث صور البوصيري في بردته المشهور حادثة الإسراء والمعراج "يا محمد[2] حيث صعد به جبريل يستفتح فيلقي الأنبياء نبي بعد نبي وسماء بعد سماء وهو المراد بقوله من حرم إلي حرم كما يسري البدر ليلة أربعة عشر والتشبيه واضح فوجه النبي (صلي الله عليه وسلم) منير كما القمر ليلة تمامه وقد

[1] إبراهيم الباجوري – شرح الباجوري لديوان البوصيري، ص ٧٠.

[2] نفس المرجع السابق، ص ٧١.

قطع مسافة طويلة في ليل مظلم حتى السماء السابعة ثم سدرة المنتهي وقوله قاب قوسين بيان للمنزلة التي لم يدركها غيرك ولم يرمها ثم قدمتك جميع الأنبياء في المنزلة والرتبة كما يقدم مخدوم علي خدم أي كل مقام مخفوض لمقامك والمقصود بالمفرد العلم انه نودي نداء مصحوب بالرفع من بين أقسام المنادي يا محمد يا احمد ونلاحظ في القصائد أعلاه كل شاعر صور الإسراء والمعراج تصويراً رائعاً كل علي حسب نظمه وأسلوبه لكن يظهر وجه الشبه واضح والقصد من المقارنة بين الثلاثة شعراء توضيح الأسلوب القصصي الذي امتازت به قصائد المتصوفة ثم الوقوف عند المجذوب الشاعر المادح الصوفي والتماس هذا الجانب في شعره فنجده واضحاً وقد امتازت القصائد المجذوبية بأنها تناولت ذات الحوادث التي حدثت للمصطفي (صلي الله عليه وسلم) وهذه القصائد ذخرت بها مجموعة المجذوب فلكل حادثة ومعجزة حدثت للرسول قصيدة محادثة الإسراء والمعراج ذكرت في قصائد كثيرة مثلاً القصيدة الأولي من المربعات العشر[١]

سبحان الذي اسري

به فرداً إلي الأقصى

وكل الأنبياء صلوا

ورآه اسلموا الفضلا

حباه الله اسراراً

كساه الله انواراً

---

[١] مجمد الطاهر المجذوب – مناقب الشيخ المجذوب، ص ٨٣، ٨٤.

فقد اسري له ليلة عروجه فرداً إلي السماء من المسجد الأقصى وجميع الأنبياء صلوا محيطين وراءه بعد أن قدم جبريل وقد حياه الله في تلك الليلة اسراراً وكساه انواراً من جلاله وجماله.

كذلك يقول المجذوب في هذه الليلة

باسم الله ذا الأعلى

بدأنا مدحه احلي

لطه زخرنا نتلو

عسي يرضي به المولي

مدحنا سيدا عالي

حبيباً ذكره يحلو

وفي وسط السماء يتلي

ويقصد الشاعر بقوله وفي وسط السماء يتلي[١] حادثة الإسراء والمعراج حيث عرج به من الأرض إلي السماء وايضاً من معجزاته التي زخرت بها قصائد المجذوب خروجه (صلي الله عليه وسلم) واضعاً يديه الشريفتين علي الأرض رافعاً رأسه إلي السماء لعلو قدره وهذا الرفع دليل المجد والسؤدد.

وايضاً من معجزاته ايضاً شق الملكين لصدره وإخراج علقه وإزالة خط الشيطان وغسله بالثلج وملآ صدره حكمة وايماناً وخاطاه بخاتم النبوة.

يقول المجذوب[٢]

وبحيها ملكان شقا صدره

وكذا أزالا حظ شيطان دخر

---

[١] محمد المجذوب قمر الدين – ديوان المجذوب ص ١٥.

[٢] محمد مجذوب قمر الدين– ديوان المجذوب، ص ٦٧.

ملآءه ايماناً كذلك وحكمة

خاطاه لكن لا بخيط في أبر

أما الإمام البوصيري فقد قال في هذا المقام[1]

شق عن قلبه واخرج منه

مضغة عند غسله سوداء

ختمته يمني الأمين وقد أودع

ما لم تذع له أنباء

ومعني البيتين واضح وفيه قصة مفارقة المرضعة له قبل أن ترده إلي أمه ثم أحاطت به الملائكة وشقت صدره الشريف واخرجوا منه مضغة سوداء هي خط الشيطان وغسلاه ثم ختمه أمين الوحي جبريل بخاتم النبوة وبشراه بعناية ربه به.

[1] شرف الدين ابي عبد الله محمد البوصيري – ديوان البوسيري.

المبحث الثالث

معارضته لشعراء المديح أمثال البرعي اليمني والأمام البوصيرى

الشيخ محمد مجذوب قمر الدين وكما أسلفت قد تأثر بشعراء الصوفية في عصور ازدهارها ونلمح ذلك جلياً في معارضته لكثير من قصائد الشيخ البرعي وابن الفارض والبوصيري وغيرهم ونلمح معارضته للشيخ البرعي في قصيدته بعنوان "أنسمة طيبة أم صبا طيبة هبا".

بقصيدة من الغزل الصوفي وهو ضرب من فنون التصوف في الغزل الصوفي والحب الإلهي وهي عادة شعراء التصوف كالتغزل بليلي وسلمي وزينب وغيرها وما هي إلا رموز صوفية يقصد الشاعر منها معني أخر ومنها قصيدته ألفها في سواكن التي يقول مطلعها.

أنفحة مسك أم شذا روضة شذا

أم ابتسمت ليلي ففاح لنا العرف

ولمعة برق أم ضياء جبينها

تقطع منه النور إذ تتطلف

فحين تغزل في هذه الأبيات بمعشوقته ليلي وصرح باسمها فقال هل نفحت علينا نفحات مسكية أم شذي روضة فاح لنا من شذاها أحسن الطيب أم ذلك العرف تضوع علينا من ابتسام ليلي ففاحت اطيابه ويقول في لمعة برق ... الخ أم انه برق لمع علينا بأرق أضاء لنا الأكوان أم هذا النور طلع علينا من ضياء جبينها وقت تلطفها بالنظر إلي معشوقها.

أما البرعي فقد قال:

أنسمة طيب أم صبا طيبة هبا

سحيراً فدعي قلبي فأسرع ما لبي

وطلعة نور التم أم نور أحمد

تشعشع حتى شق ساطعة التربا

فهو يقول هل هذه نسمة فاح عبيرها وأريجها علينا أم الشوق والحنين حملته ألينا نسمة طيبة فهبت علينا مبكراً فسرعان ما دعي قلبي فأجابه ويقول.

وهل هذا هو نور الكمال وبدر التمام أم انه نور المصطفي (صلي الله عليه وسلم) سطع علينا نور وحتى شق نوره التربا.

ويقول ابن الفارض في هذا المعني

ابرق بدا من جانب الغور لامع

أم ارتفعت عن وجهه ليلي البراقع

فهو يقول هل ظهر البرق أم النور لنا من جانب ذلك الغور وهو اسم المكان أم أسفرت وكشفت ليلي عن وجهها المشرق فضاء وأنار له المكان والبراقع وهو ما تستر به المرأة وجهها.

فالشعراء الثلاثة جرت قصائدهم علي نمط الاستفهام وحسن التشبيه والتعليل وهذا من فنون التصوف التي أذاعها في عصور مختلفة وسار عليها متصوفة القرن التاسع عشر والعشرين.

ثم يقول الشيخ المجذوب بعد ذلك أن لمعان ذلك وضياء جبينها قد زادني مسرة وأزالا كروبي التي أجدها من قبل

فذانك قد زادا سروري مسرة

أزالا كروبي واضمحل مني التخوف

فهذا البيت واضح الشبه بينه وبيت البرعي الذي يقول فيه[1]

فذانك زادني سروراً وأفرجا

هُمومي وحلا عن عرا كبدي كربا

كلا البيتين نلمح فيهما معني السرور وإزالة الكروب والمصائب التي نجدها من قبل.

أما قول المجذوب[2]

وأصبحت بعد الوصل منهم مُبعدا

وإخبارهم عني تقِلّ وتصعبُ

---

[1] عبد الرحيم البرعي – ديوان البرعي ، ص ١٢٢.

[2] محمد مجذوب قمر الدين – ديوان المجذوب، ص ١٩٠.

فقد أصبح مبعداً عنهم في ظاهر الحال وإخبارهم تضعف وتقل بل وتكاد تنقطع ونلاحظ كذلك في قول المجذوب

ولئن كان إبراهيم خُصَ بخُلة

خليلاً فهو بالحب والقرب يوصفُ

ونجي موسي فوق الطور واحمد

علي العرش فوق الحجب يُحبى ويتحفُ

فهو يقول أن كان العرش قد خص بالخلة إبراهيم عليه السلام علي سائر الأنبياء فقد خص الرسول (صلي الله عليه وسلم) بمقام المحبة والقرب الذي هو ارفع واغلي من مقام الخلة وقال وان كان قد ناجي موسي علي جبل الطور فقد نجي محمد (صلي الله عليه وسلم) فوق العرش.

أما الشيخ البرعي فقد قال في هذا المقام

لئن كان إبراهيم خُص بخلة

فهذا نبي أوتي القرب الحُبا

وان كان فوق الطور موسي مكلما

فاحمد حاز السبق واخترق الحجبا

فهذا معني واضح الشبه بينه وبين أبيات الشيخ المجذوب ونري فيهما تفضيل محمد (صلي الله عليه وسلم) علي سائر الأنبياء.

قال محمد بن سيد اليعمري في النور المحمدي:[1]

يا من له اوجب الله النبوة إذ

في الطين ادم لم يزل محمولُ

هذا الرسول الذي كانت نبوته

وطين ادم في الفردوس مجهولُ

عارضها المجذوب بقوله:

وأشاهد النور الذي في طيبة

ولوجهه الضاوي أشوق واعشق

نور بدا من قبل نشأة ادم

منه الوجود جميعه متخلق

فأبو الحقيقة احمد أن رمته

وأبو المجاز ادم قد حققوا

سبق الوجود جميعه في الفضل بل وفي

الحشر أيضاً قد يسوق ويسبق[2]

وكما أسلفت فالنبي في نظر شعراء المديح والتصوف ليس نبياً فحسب بل هو المحبوب الذي ترجي شفاعته

يقول الإمام البوصيري في الشفاعة:

فهو الحبيب الذي ترجي شفاعته

في كل هو لمن الأهوال مقتحم

---

[1] يوسف اسماعيل النبهاني – المجموعة النبهانية – ص ١٢٩.

[2] محمد مجذوب قمر لدين– ديوان المجذوب.

ويقول الشيخ البرعي:

وجعلت مدحي فيك يا علم الهدي

سببا وأنت وسيلة المتسبب

واشفع له ولمن يليه وقم بهم

في كل حال يا شفيع المذنب

أما المجذوب فيقول في هذا المعني

مدحناه نرجو منك ترضي مديحنا

وترضيه عنا وهو عندك شافع

فكثيراً ما تختم القصيدة بالصلاة علي النبي ثم يذكر الشاعر اسمه طالباً الشفاعة متوسلاً مبتهلاً به (صلي الله عليه وسلم):

يقول البرعي في هذا المعني[1]

فاقل عثار عبدك الداعي الذي

يرجوك إذا راجيك غير مخيب

وأجر بها عبد الرحيم كرامة

الدارين خير الجزاء لنظم معرب

واشفع له ولمن يليه وقم بهم

في كل حال يا شفيع المذنب

ويقول المجذوب[2]

وصلي اله العالمين وسلمن

علي احمد والآل والصحب تابع

---

[1] عبد الرحيم البرعي – ديوان البرعي ص ٦٥.

[2] محمد مجذوب قمر الدين – ديوان المجذوب ص ١٣٢.

محمدُ مجذوبْ يقول مديحه

ولي منه مثل العالمين مطامع

وهكذا نري التشابه واضحاً في آخر القصيدة في المعني وهذه المعارضة لقصيدة الشيخ البرعي قصد منها توضيح مدي تاثر الشيخ المجذوب بالصوفية الأوائل في شعرهم خاصة المديح وقصائدهم وموضوعات شعرهم التي زخرت بها.

الفصل الثالث

المبحث الأول

العشق الإلهي والعزل الصوفي

نشأة فلسفة الحب الإلهي كما يري المتصوفة من مناجاة الله بالأشعار التي ينشدونها تقرباً منهم محاولين اختصار المسافة بينه وبينهم وقد ورد في القران الكريم ما يؤيد إسناد كلمة (حب) إلي الله في قوله تعالي (قل أن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم)[١] وقوله تعالي (والله يحب المحسنين)[٢] وغيرها من الآيات الكريمة التي جاءت تؤكد هذه الكلمة ومعناها.

فالحب الوارد في الآيات الكريمة يقول الطاهر محمد علي (حب بين طرفين بسبب العمل والإتباع فحب الله للعبد متوقف علي إتباع نبيه محمد (صلي الله عليه وسلم) كما في الآية الأولي وحب الله للعبد متوقف علي أحسان المحسن كما في الآية الثانية، وحبه لذلك حب عقلي لا عاطفي ثم اخذ هذا المفهوم للعلاقة بين العبد والرب يتطور بأشكال مختلفة بين الفقهاء والمتصوفة[٣].

أما زكي مبارك أورد رأياً آخر يتلخص في "أن التصوف" في جوهره نوع من التسامي في الروحانية والصوفية الأخيار كانوا في الأصل من عشاق الصور الحسية

---

[١] سورة ال عمران الاية (٣١).

[٢] سورة المائدة – الاية (٣).

[٣] الطاهر محمد علي البشير، الادب الصوفي السوداني – الدار السودانية ١٩٨٥م ص (٢٩).

ثم ضاقت أمامهم دنيا الحس فتساموا إلي دنيا الروح وهي دنيا حافلة بمعاني الحب والجمال فالتصوف في ذاته انتقال من حال إلي حال أي من عالم الأرض إلي عالم السماء[١] أما الهيام في حب الله فهو من صفات المتبتلين وهذه النزعة الروحية كما يري زكي مبارك أنها سبقت الإسلام بأزمان ويرون أن داؤود عليه السلام كان يقول اللهم أني أسالك حبك وحب من يحبك والعمل الذي بلغني حبك اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي وأهلي ومن الماء البارد[٢].

وقد ورد هذا المعني يحبهم ويحبونه "قل أن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ".

لكن كل هذا الحب تغلب عليه الصفة النفعية فالمؤمن يحب الله ويطيعه ليدخل الجنة ويسلم من النار وقد رأي الصوفية أن يجردوا هذا الحب من صفة النفعية فيجعلوه خالصاً لذات الله تعالي بغض النظر عن رجاء الثواب والعقاب فقد رويت عن المحبين أبيات وفقرات علي جانب عظيم من الجمال ففي هذه الآبيات تتجسد الروعة والجمال حيث تقول رابعة العدوية[٣]

لما علمت بان قلبي فارغ[٤]

ممن سواك ملأته بهواك

---

[١] زكي مبارك – التصوف الاسلامي في الادب والاخلاق – ط٢ ، ص ٦٠، دار الكتاب العربي.

[٢] زكي مبارك – التصوف الاسلامي في الادب والاخلاق ص ٢٨٢.

[٣] نفس المرجع السابق – ص ٢٨٤.

[٤] عبد الرحمن بدوي – شهيدة العشق الالهي رابعة العدوية – مكتبة النهضة المصرية ط ٢ ، ١٩٦٢.

وملأت كلي منك حتى لم

ادع مني مكاناً خالياً لسواكا

فالقلب فيك هيامه وغرامه

والنطق لا ينفك عن ذكراكا

فالأبيات تمثل عظمة الحب الإلهي والهيام في حب الله فالقلب مشغول ولا يوجد مكان لسواه ولساني لا يبرح ذكراك

ورابعة العدوية أشهر من عرفوا بالحب الإلهي ولها أخبار طوال في ذلك وهي تقول:

أني جعلتك في الفؤاد محدثي

وابحت جسمي من أراد جلوسي

فالجسم مني للجليس مؤانس

وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

وعزتك ما عبدتك خوفاً من نارك ولا رغبة في جنتك بل كرامة لوجهك الكريم ومحبة فيك وليس هذا المقام الذي كنت اطلبه وقضيت عمري في السلوك إليه[١]

وهي التي تقول

احبك حبين حب الهوى

وحب لأنك أهل لذلك

وأما الذي أنت أهل له

فكشفك لي الحجب حتى أراك

فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي

---

[١] محمد مصطفي حلمي ابن الفارض والحب الالهي – دار المعارف مصر ١٩٧١ ، ص ١٨٦.

ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

فرابعة العدوية جعلت حبها لله عز وجل حببين حب الهوى والمحبة لوجه الله وعرفت حب ألهوي بأنها في شغل دائم لذكر الله شغلها عما سواه وأما الحب الذي هو اهل له فقد ذهب الزبيدي (أن رابعة العدوية) تغني بالحب لما هو أهل له لأحب لجماله وجلاله الذي انكشف لها[1]

وهذه درجة من درجات العشق الإلهي لا يرتقي لها ألا الصوفية الذين صفت قلوبهم ونفوسهم وفنيت في حب الله ذلك الحب الذي جعلهم ملتهبي الشعور والوجدان فجاء شعرهم جذوة متقدة كما رأيناه عند رابعة العدوية.

أما أشهر من تكلموا في الحب أيضاً والذي حدثوا أن الطير كانت تسقط عن الشجر حين تسمع كلامه في الحب وهو (سمنون) سمنون بن حمزة المتوفى عام ٢٩٨هـ وله أشعار رقيقة في الحب أطلقه عليه (سمنون الحب) ومنهم ايضاً ذو النون الذي كان يتكلم في الحب فيموج مجلسه بالصارخين والباكين بذلك قوله[2]

احن بأطراف النهار صبابة

وفي الليل يدعوني ألهوي فأجيب

وأيامنا تفني وشوقي زائد

كأن زمان الشوق ليس يغيب

---

[1] نفس المرجع السابق – ص ٩٩.

[2] نفس المرجع السابق، ص ٩٩.

أما في السودان فقد نقل المتصوفة الأوائل الذين نزحوا إليه في أزمان مختلفة أفكارهم الصوفية بطريقة منهجية مدروسة ومع ذلك فقد أورد لهم صاحب الطبقات بعض أقاويل لهم في الحب الإلهي في شكل شطحات صوفية كالتي نراها عند ابن الفارض.

ويشك الطاهر في أمر حبهم وشطحهم ويتساءل هل كان هذا الحب وليد حب الهي عنيف اخذ عليهم فكرهم وأخرجهم من هذا الوجود الحي أم انه مجرد تقليد منهم لغيرهم من المتصوفة من المكانة الصوفية لينالوا بها درجة عند تابعيهم[١] والرأي عندي أنهم اقتدوا بهم وبسلفهم في هذه المسالة كما اقتدوا بهم في غيرها من المسائل.

وما يهمنا هنا أن فكرة الحب الإلهي لها أثرها البالغ في المدائح النبوية فقد شاع هذا الحب في الشعر رقة وصبابة وهو أجمل ما يميز الحب والشعر الصوفي بعذوبته وجماله وروعته ورقته التي فاقت حد الوصف وسلاسته ووضوح الصياغة وجمال الحسن والرونق والعاطفة الصادقة ويكفينا أن تقرأ أبيات ابن الفارض

أبيات ابن الفارض تقول:

يا ساكني البطحاء هل من عودة

أحيا بها يا ساكني البطحاء

أن ينقضي صبري فليس بمنقض

وجدي القديم بكم ولا برجائي

---

[١] الطاهر محمد علي – الأدب الصوفي السوداني ص ٢٩.

فهو يقول "أيها الساكنون القاطنون البطحاء هل لي من عودة أصير بها حياً يا ساكني البطحاء، وقد رد العجز إلي صدر البيت".

وهو من محاسن التكرار ويقول إذا انقضي صبري فشدة شوقي لكم لا تنتهي[1] وقد عاني متصوفة السودان ما عاناه غيرهم في الوقوع بين الحب الإلهي والحب البشري في صورة أملاها عليهم استغراقهم في الحب الإلهي فلم يجدوا من التعبير عن الحب الإلهي الا صور الحب الحسي فاستخدموه استخداماً مجازياً لا حقيقاً وهي بمثابة أشارات تلوح إلي قصدهم لمعان يقولون تقهقر العقل عنها في حيرة وعجز بان يدرك كنهها[2].

وقد تغزلوا بسلمي وليلي وسعاد ولبني وسعدي غزلاً رمزياً وغزل نلمح فيه المبالغة وعدم الواقعية إذن فقد كان الغزل الصوفي صورة من صور التعبير عن الحب الإلهي.

بذا توضح أن هنالك علاقة بين الحب الإلهي والغزل الصوفي وكيف أن الصوفية اتخذوا من الغزل الصوفي ورموزه الصوفية وسيلة للتعبير عن الحب الإلهي الذي يحسونه وها هو الشاعر السوداني الشيخ عبد المحمود نور الدائم يقول[3]

تغزل أرباب الطريق بعلوة

وليلي ولبني والرباب بثينة

إشارات تلويح إلي المقصد الذي

تقهقر عنه العقل من بعد حيرة

---

[1] عبد الغني النابلسي – شرح ديوان ابن الفارض ، مطبعة الكستيلية بمصر ، ١٢٧٩م ص ٢٥.

[2] الطاهر محمد علي – الادب الصوفي السوداني ص ٢٣٩.

[3] نفس المرج السابق ص ٢٣٨.

إلي أن يقول

اسميك لبني في نسبي تارة

واونة سعدي واونة ليلي

حذار من الواشين أن يقنطوا بنا

وإلا فمن لبني فديتك ومن ليلي

فالرمز الصوفي هو تمام لما ينقص من التعبير الأدبي

وقد شرح ابن العربي الأسباب التي حدت بالمتصوفة إلي الرمز فقال (ليس في مستطاع أهل المعرفة إيصال شعورهم إلي غيرهم وغاية ما هو مستطاع هو الرمز عن الظواهر لأولئك الذين اخذوا في ممارستها)[1]

فالرمز بهذه الصورة هو الأداة التي يعبر بها المتصوفة عن المعرفة الخاصة بهم وسموه بحديث الإشارة فهي احلي وأعذب عند أرباب التصوف كما يقول عبد المحمود ولجوءهم إلي الرمز بهذه الإشارة وغيرها عن منهج التزموه وهم يرون انه لا يصح البوح بهذه الأسرار فلازموا فيها الكتمان مع اختلاف بعض قدماء المتصوفة في هذا الموضوع منهم من يري البوح مثل الحلاج واغلبهم يرون كتمانها[2]

وعن أساليب الحب الإلهي وشعر الغزل الصوفي عند شعراء الصوفية في السودان عرفوه كما عرفه غيرهم وساروا علي هذا النهج فتغزلوا غزلاً يوهمهم بأنه غزل حسي لكننا لا نري ذلك فلا نتهم احد منهم بذلك ويري الطاهر محمد

علي انه الصوفية لم يعرفوا حتى يستطيعوا أن ينفسوا عن أنفسهم بهذا الغزل بل عرفوا بكثرة زواجهم وهو شأن المتصوفة بالسودان علي وجه

---

[1] الطاهر محمد بشير – التصوف – مطبعة السعادة ١٩٣٢ هـ – ص ١٩٦.

[2] الدب الصوفي السوداني ، ص ٢٤٢.

الخصوص فقد كانوا أكثر الناس زواجاً لان من إتباعهم ومحبيهم من يجبرهم علي زواج بناته التماساً للبركة لذلك فهم أكثر الناس طلاقاً لذلك لا يمكن أن نقول غزلهم نتيجة حب حي للمرأة كما أن نشأتهم في بيت دين تحرم عليهم مثل هذه العلاقات والقول فيها زيادة علي أن تقاليد السودان في ذلك العهد لا تسامح في مثل هذا العمل لذلك فان غزلهم روحي رمزي لأنهم ساروا علي درب ممهد لهم من سابقيهم[١]

أما شعراء المجاذيب فقد ساروا علي ركب أخوانهم الصوفية فتغزلوا بسلمي ولبني وليلي وغيرها فهي رموز وكتابات تشير للممدوحين لذلك يلتقي شعرهم الصوفي بشعر الغزل متحفظاً مع عدم البوح بالسر الصوفي الذي نظموا فيه الغزل الصوفي الصريح وهي منظومات تطفي عليها النزعة الصوفية فهي فيه واضحة في اللفظ والمعني ومن ذلك قول الشيخ مجذوب قمر الدين يتغزل بليلي[٢]

وكيف تري ليلي بعين تري بها

محاسن دنيا من نساء روائع

وكل حبيب في ألدنا فهو انه

سواها وما طهرتها بالمدامع

وتلتذ منها بالحديث وقد جري

علي سمعك الفاني حديث الفظائع

فلا تطمعن في ذا وسمعك قد صغي

حديث سواها في خروق المسامع

كذلك يقول في الغزل الصوفي

صغيرة من محبتكم اذابا

---

[١] الطاهر محمد علي البشير – الادب الصوفي في السودان ص ٢٤٢.

[٢] محمد مجذوب قمر الدين – ديوان المجذوب ص ١٧٢.

فؤادي بل وعذبه عذابا

فعذب ذلك العذيب عندي

فزيدوا منه فالتعذيب طابا

وما أن قد عدمت ولي نصيب

قليل من محبتكم ثوابا

فمنوا بالشهود فلي فؤاد

يحب يري ويشهد ذا الجنيا

فهذه الأبيات يتطفل بها لمحبوبه وطلب دوام شهوده وفي قصيدته "صببت دموعاً" التي سلف ذكرها نري الشوق والصبابة لرؤية المحبوب أما الغزل الرمزي الذي تعبر فيه اللغة عن الحب الحسي فتكلم الشعراء بأسلوب مثل الرمز بالعين والفم وما يحيوه تعبير الجمال عن الحبيب واستخدموا تاء التأنيث وأحياناً يرمزون لها باسم مؤنث وهم في هذا قد اعتبروا ذلك قريبنة علي حديثهم عن الذات الإلهية وحبهم لها ومن ذلك قول المجذوب في الأبيات السابقة[١]

وكيف تري ليلي بعين تري بها

محاسن دنيا من نساء روائع

فهو يعني شهود جمال ليلي شهود جمال الذات الإلهية التي رمز إليها بهذا الجمال إلي حقائق صوفية هو يدركها ولا يعني بليلي امرأة حسية وقد يسميها بأسماء أخري كقول الشيخ عبد المحمود نور الدائم

لو شاهدت عيناك طلعت زينبا

---

[١] محمد مجذوب قمر الدين – ديوان المجذوب ص ١٧٢.

لغدوت محمود الجنان مغيباً

يعني شهود جمال الذات الإلهية وليس جمال زينب الحي وللشاعر المجذوب من الأبيات ما في الغزل قصيدته التي جرد من نفسه شخصاً ينادمه بإعادة ذكر محبوبه فيقول[1]

اعد ذكر من يهواه قلبي ومهجتي

فلي ذكره علي أي حالة

سواء علي أن حدثوا بحديثه

عُداتي ولُوامي وأحباب سرتي

مُدامي أحاديث الحبيب وذكره

ولو صرّحوا في ذا بعذلي ولومتي

نري فيها الشوق والصبابة في إعادة ذكر الذي تحلو ذكراه علي كل شيء.

وله من الأبيات في الغزل يبداها يحث الركب بالوقوف ساعة لسماع شكواه وحنينه فيقول[2]

يا قائد الركب من شام إلي يمن

قف ساعة لي أو حيناً من الزمن

لأذكرن لك حالي بعضه واقل

ما بي حبيبي من شوق ومن شجن

اني بليت قل مصطبري

منه ومالي شفيع منه ينقذني

---

[1] محمد الطاهر المحذوب – محمد مجذوب قمر الدين – المناقب ص ٦٣، ديوان المجذوب ص ١٦٦.

[2] محمد مجذوب قمر الدين – ديوان المجذوب ص ١٦٣.

فهذه معاني رائعة لذلك الحب الذي ملك عليه فؤاده ومل فيها صبره وليس له في هذه الدنيا من منقذ من ذلك الحب وله من الأبيات التي يتغزل فيها بمعشوقه زينب ويصرح فيها بالمدح أيضاًًً هذه الأبيات[1]

نسيم قبا والقبلتين ورامه

مهب علي قلب المتيم مدمن

ويعرب مهما هب عن سر

زينب فيفهمه عنها هوي ويبين

فلله ما أحلاه أن هب بغتة

به روح عشاق الجمال فتسكن

فهو يذكر في هذه القصيدة من الغزل هبوب النسيم البارد من مسجد القبلتين ومن وادي رامة علي قلبه المتيم بالحب المدمن فيه وانه مهما هب النسيم في تلك المواقع علي القلب يفهمه عن معشوقته لذة الهوى بعبارة فصيحة وينثر النسيم اخبار زينب يحبا بها فؤاده المتيم بهوها ثم يقول ما أحلاه أن هب بغتة (فجاءة)

علي أرواح العاشقين لجمالها فيسكنها راحة وسكوناً والشوق إليها هو الشوق إلي الذات الإلهية ولا يعني بزينب امرأة وإنما رمز للذات الإلهية[2]

ومن الرمز في معالم الحب الإلهي رمزهم في الخمر ونشوتها وما يحدث للشاربين من النشوة ويقصدون بالخمر الحب الإلهي نفسه حين رمزوا في شعر الغزل الإلهي تكلموا عن المحبوب اما في كلامهم عن الخمر وكأساتها ففي

[1] محمد مجذوب قمر الدين – ديوان المجذوب ص ١٦٣.

[2] محمد مجذوب الطاهر – مناقب الشيخ المجذوب ص ٧٧،٧٨.

الحب الإلهي نفسه لأنهم يقصدون بالكأس كاس الوصال إلي الله وهو اقتراب العبد بمولاه اقتراباً لا يري نفسه منفصلاً عنه لهذا يقول شاعر السمانية وشيخها احمد الطيب[1]

فلما سقي قلبي شراب الحقيقة

تلاشى وجودي في شهود الخليقة

سكرت به لما تجلي بحاله

ففنيت عني في مجال الهوية

وهذا ما عبر به السماني عن شرب الحقيقة من الحق يعني بذلك الخمر وهي الحب ذاته وليس التمتع بالجمال الإلهي فحسب وهذا الضرب من الرمز الصوفي نراه واضحاً عند شعراء المجاذيب:

فالمجذوب يقول في قصيدة[2]

رسول الله فاسمع ندائي ثم فاشفع

وداوي السقم مني فيّ واجذبني وانفع

ومد لي كاساً به اروي واكرع

وأطعمني بعشق وحب منه اشبع

وقال في أبيات أخرى[3]

إلي حرم الهادي الشفيع رمت بنا

لطائف ربي بالمسرة والبشر

سقانا به ربي لذيذ شرابه

بكاس وفي منّ رحيق من الخمر

[1] الطاهر محمد علي – الادب الصوفي السوداني ص ٢٤٧، ٢٤٨.

[2] محمد مجذوب قمر الدين – ديوان المجذوب ص ١٤٢.

[3] نفس المرجع السابق ص ١٧١.

سكرنا به لقد صار سكرنا

علي غاية الصحو المنزه عن سكر

قرأنا به كتباً من الله أنزلت

علي قلب قلب القلب واللبِ والسرِ

فالمجذوب في حديثه عن الخمر وكأساتها يقصد بذلك الحب الإلهي وحده وذلك الوصال الذي خصه وقد اقترب من ربه اقتراباً لا انفصال عنه وفي قصيدته[1]

صفت خلوتي بالحب واصطف حولها

كبار رجال قد أباحوا بسكرة

ثم يقول

ولكني شربت خمرة وصلهم

بكاسات ودٍ وهي علي أديرت

فالخمرة التي شربها المجذوب هي خمرة الحب وهذه الكاسات هي كاسات الوصل والود أديرت إليهم من الذات العلية

وهذا الضرب من الشعر هو شعر الخمريات وهو من فنون الحب الإلهي وهو يعني به الحب الإلهي نفسه وفيه تتجلي الذات الإلهية لقلبه وقد تتجلي له العظمة الإلهية عندما تدار عليه الخمر والإلهية بكاساتها فالتجلي بالشراب الإلهي هو مرحلة الغناء الصوفي الذي لا يشهد فيها موجوداً معه سوي الله وحب من اسمي درجات القرب عند الصوفية وقد يذكر الخمر وسقاتها من شيوخه في الطريق وأنهم تداولوا هذه الخمر من الذات الإلهية[2].

---

[1] محمد مجذوب قمر الدين – ديوان المجذوب ص ١٨٠،١٧٨.

[2] الطاهر محمد علي – الادب الصوفي السوداني ص ٢٥٠.

أما قصيدة الشطح الصوفي فهي نتيجة الحب الإلهي عنيف اخذ عليهم فكرهم وأخرجهم من هذا الوجود الحسي غير أن الشطح في اغلبه لم يكن نتيجة الحب الإلهي "فالصوفي الفاني في حب الله والصوفي المسرف في حب الله فبالحب يحيا ويكرس حياته ومجاهداته عليه فإذا تحقق له ذلك فقد أوفي بالميثاق الذي قطعه علي نفسه أمام الله[١]" والأمثلة عند المجذوب كثيرة مثل قوله[٢]

نظرت بصدق في الوجود وجدته

بكم قام فأنهد البناء المؤسس

فتهت بكم حتى فنيت بشأنكم

وغابت شؤوني بل جميعي مع النفسي

وخوطبت سراً ما عقلت بأمره

فأدركته بعد التيقظ والحس

حيث يبين في هذا المقام مرحلة الغناء الصوفي التي وصلها اليها والسر الذي خُص به من الذات الإلهية والأبيات السابقة قريبة الشبه من قول ابي عربي في باب الفخر بالعلم بالله المذكور يقول في ذلك[٣]

خصصت بعلم لم يخص بمثله

سواي من الرحمن ذي العرش والكرسي

وأشهدت من علم الغيوب عجائباً

---

[١] ابو العلاء عفيفي – التصوف الثروة الروحية في الاسلام ص ٢٢ د، ت

[٢] محمد مجذوب قمر الدين – ديوان المجذوب ص ١٧٠.

[٣] ابوبكر محي الدين ابن عربي – ديوان ابن عربي دار الطباعة بولاق – القاهرة ١٨٥٥ – ص ٤٨.

تصان عن التذكار في عالم الحس

حتى يقول

لقد أنكر الأقوام قولي وشنعوا

علي بعلم لا ألوم به نفسي

ولا يصفح المجذوب عن هذا العلم الذي خص به مقترباً بذلك بان العربي فيقول[1]

علمنا به علماً تحتم كتمه

وحق لنا أن نكتمنه من الغير

به كشف الرحمن بستراً لقد علا

واظهر ما الستر من غامض السر

ثم ينتقل إلي قصيدة أخري فتري تكراراً لهذا العلم الذي خصه الله به فيقول[2]

وخوطبت في سري بسر كتمته

مخافة أن يؤتي بابكر فتنة

مقامي مجهول علي لحكمة

تقاصر عنها فهم أرباب حكمة

ونلمح الشطح موضحاً في القصيدة التي يقول فيها

صنعت خلوتي بالحب واصطف حولها

كبار رجال قد أباحوا بسكرة

ولي قصة في الحب لو حكيت علي

---

[1] محمد مجذوب قمر الدين – ديوان المجذوب ص ١٧١.

[2] نفس المرجع السابق ص ١٧٨.

فحول رجال لاستمالوا بقصتي

ولي جرعة في العشق لو طرحت علي

بحار ملاح لاستحالت عذوبة

وإذا استغرق المجذوب وغاب عن وعينا فهو حاضر وإذا حضر فهو غائب ولهذا يدعوا المجذوب الناس إلا يتعجبوا حيث يقول[١]

حضروا إذا غبنا وغيب حضورنا

وذا عجب فليعجب المتعجب

ويسجد النور المقدس قلبنا

ويرفع أن أذن الجناب المحجب

وأعمالنا قلبية ونفوسنا

بعطر جناب الهاشمي تطيب

وفي ذلك يقول محمد المجذوب الطاهر ابن اخيه "وحدثني الشيخ علي دقنة قال لما قال سيدي المجذوب هذه الأبيات كان حاضر معنا الفقيه المدني رجل من "

الصالحين فقال الرجل قلت في نفسي كيف يتأتي له النظم والوزن مع التأتي كونه غاب عن حسه فقال المجذوب.

فلا تعجبوا منا فان جميعنا

لدي الله عن الهاشمي مقرب

يحدثنا في روعنا بعلومه

فتسمعها الأجزاء منا ونكتب

---

[١] محمد مجذوب قمر الدين – ديوان المجذوب ١٧٨ ، ١٨٠.

وخلاصة الحديث عن الحب الإلهي والغزل الصوفي بأنواعه أن المجذوب في عشقه في الحب الإلهي يتخذ من الرمز بالخمر حيناً وبالحبيبة حيناً آخر ليصل إلي حقيقة الحب الإلهي.

ولقد تجلي الصدق الفني في شعر الحب الإلهي أكثر من النور المحمدي لان اعتماده في الأول علي عاطفته أكثر بينما شعره الثاني يعتمد علي مرؤياته من القصص والمعجزات وتزويده لما ورد عند شعراء المديح.

وهنالك طريقة أخري وهي إيراده لمعني الحب الإلهي عن طريق التشطير والتخميس التشطير يعمد فيه الشاعر لإتباع غيره فيضم إلي كل سطر فيها سطر يزيد عليه عجزاً لصدر البيت والعكس.

أما التخميس كما هو معروف هو أن يقدم الشاعر علي البيت من شعر غيره ثلاثة اشطر علي قافية الشطر الأولي فيصير خمسة اسطر لذلك سمي تخميساً أما التشطير والتخميس في القصائد المجذوبية فكثير يضيق المجال عن حصره بل نختار بعض القصائد ومن ذلك قوله في مخمسات تغزل بها وتخميسه لأبيات بعض المريدين.

يقول في مخمساته[1]

ألا ليت شعري هل لهذا الجفا حدُ

وهل بوصال ينقضي ذلك البعد

وهل يرتضوا أني أكون لهم عبد

وهل يعقبن هذا القلا منهموا ودُّ

[1] محمد مجذوب قمر الدين – ديوان المجذوب ص ١٧٣.

وألا فخلوا الدمع ينسكب

ففي الأبيات أعلاه يشكو الهجر والصد الذي يجده من محبوبه ويطلب منه الوصل والود.

ومن تشطيره هذه الأبيات التي خمسها فيما بعد فهو يقول[1]

رفع الحجاب فنا فلاح لناظري

نور له تتحير الإفهام

فتعجبت من أمره فإذا به

قمر تقطع دونه الإفهام

فإذا المطي بنا بلغن محمداً

فلها علينا المنِّ والأنعام

وإذا عجزنا عن مكافأة له

فظهورهن علي الرجال حرام

فالمجذوب يتعجب من أمر هذا النور الذي لاح لناظره فإذا قمر يسلب العقول ثم ينتقل إلي الحديث عن ألمطي التي كانت تحملهم فيقول فذا ابلغنا هذه ألمطي لرسول الله (صلي الله علي وسلـم) فلها علينا المن والعطايا وإذا عجزت نحرم علينا ركوبها.

ثم تخميس الأبيات فيقول[2]

هَبَ النسيمُ لنا بريحٍ عاطرٍ

من أرضِ طيبة يا نديم مسامري

فأهاج منا كل عضو فاتر

رفع الحجاب لنا فلاح لناظري

---

[1] نفس المرجع السابق – ص ١٧٥.

[2] محمد المجذوب قمر الدين – ديوان المجذوب ص ١٧٦.

قمر تقطع دونه الإفهام

والقصائد التي شطرها كثيرة نكتفي فيها بذكر النماذج أعلاه بالإضافة لهذا هنالك قصائد تشمل تخميسه النفيس في مدح النبي (صلي الله علي وسلم) المسمي سرد المدد والسهود في مدح النبي المحمود والذي رتبه علي حروف الهجاء في ديوانه فقد اخلص فيه العبارة وأوضح فيه الدلالة وجعل كل حرف من الحروف الأبجدية أبيات من الشعر فالحرف الأول الهمزة جعل فيها سبعة أبيات مثلاً وحرف الهجاء الباء والتاء أربعة أبيات وحرف الميم خمسة أبيات إلي جانب ذلك فقد نظم في التوسل والابتهال والتراضي لله عز وجل تأديب النفس علي فعل الطاعات وزجرها عن المعاصي وتأنيب الضمير وغيرها وشعر التوسل الصوفي باب من أبواب الأدب الصوفي ومن توسلاته توسل شهداء بدر الكبرى فله توسله الكريم لدفع العدو الرجيم لشهداء بدر الكرام واعني بهم المهاجرين والأنصار الفخام سماه "خاتمة الأبواب" لمن دق هذا الباب أن كان يرجو أن يكون من الأحباب[1]

ومن قصائده قصيدة مطلعها

الحمد لله الولي العالي * * * المنجز الوعيد في الأنفال

بقوله سبحانه يريد * * * الله من ذلت له العبيد

أن يحقق الحق بقوة علت * * * ويقطع الدابر الذي مقت

فبدا بالحمد لله رب العالمين الذي بشر المؤمنين بالفوز والتمكين ثم بشكر الله فيقول

ونشكر الجاعل ذاك منا * * * علي يدي نبيه المُمنّا

إعانة في ذاك بالأصحاب * * * ليجزوا الأجور والثواب

---

[1] محمد الطاهر المجذوب – مناقب المجذوب ص ٥٤

واظهروا الانجاز يوم بدر * * *بالظفر العظيم أي والنصر

فقد أشاد الرسول (صلي الله علي وسلم) ووضح نصر الله وانجازه وإعجازه يوم بدر والإشادة بالصحابة باب من أبواب الأدب الصوفي وشهداء بدر

فالقصد يا أخي بهذا الزجر * * * ذكر الذين خصهم بالغزو[1]

عنيت بهم من أكرمهم في بدر * * * فاستشهدوا فيه لنيل الخير

فها أنا اذكرهم تفضلاً * * * بهم لرب حبهم تفضلاً

فالشاعر يقول هذا الشعر من الزجر وقد استخدمه المجذوب في شعره ليسهل له التنقل من صحابي إلي آخر ومن بيت إلي آخر وقد ذخرت بهذا قصائد المربعات العشرة.

والمجذوب في الأبيات السابقة يتوسل بشهداء بدر الكرام الذين نالوا المكانة الاسمي عند ربهم ثم يذكر بعد ذلك أسماء الشهداء الكرام ويعدد مناقبهم.

وله من التوسل بشهداء احد الإعلام الذين استشهدوا لنيل بغية المرام وبذلك قد احلوا دار السلام فيقول[2]

ثم الصلاة والسلام الطيب * * * علي النبي وهو ذاك الطيب

محمد سر الإله الجامع * * * وهو حجاب أعظم ومانع

بنصه في محكم التنزيل * * * وواضح البيان والدليل

بقوله لا تحسبن الذين * * * قد قتلوا لا جلنا ميتينا

بل أنهم أحياء يرزقون * * * وعندنا لوجهنا يَرُون

---

[1] محمد الطاهر المجذوب – مناقب المجذوب ص ٥٥.

[2] نفس المرجع السابق– ص ٥٥،٥٦.

فهو يتوسل بشهداء احد ويصلي علي الحبيب المصطفي (صلي الله علي وسلم) ويوضح انه السر الباطن لرب العالمين ثم يشكر الله كثيراً ويوضح الشهداء لا يحسبون أمواتاً عند الله بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما أتاهم الله وهنا نلاحظ الاقتباس من القران واضحاً.

ومن التوسل ما قاله في محبة المهاجرين والأنصار من أهل بدر واحد وما نالوه من محبوبهم[١]

أهل المحبة رهبان وأحبار

مهاجرون فقل حبي وأنصار

محبوبهم لم يدع في قلبهم وثنا

يعيد سواه ومن ذنب السوي اطهار

أرواحهم عشقت من قبل ما شهدت

فلا تسل بعد أن سامته أفكار

هم أهل بدر جمال الله بعضهم

هل أهل جمال الحق نظار

يقول فيها أنهم أهل المحبة في رسول الله (صلي الله علي وسلم) من المهاجرين والأنصار وقد شبههم بالرهبان والأحبار في تبتلهم وانقطاعهم للعبادة والزهد في الدنيا وهي أي صحابته كالرهبان والأحبار في محبتهم لرسولهم الكريم فهذا المحبوب لم يترك مكاناً للأوثان لكي تعبد وقد طهر قلوبهم بالذكر ثم يقول هم أهل بدر وأهل احد ويشيد بهم وبموقفهم مع النبي (صلي الله علي وسلم) فالشاعر يشبههم بالرهبان أئمة التنسك لو صلح لهم الدين.

[١] محمد الطاهر المجذوب – مناقب المجذوب ص ٥٧.

وإضافة للتوسل له من الشعر الصوفي منظومات في آداب المريد مع شيخه وفي معرفة الشيخ أيضاً حيث يقول[1]

أن رمت أن تفوز في دنياكا

بالخير والنعيم في اخراكا

وان تكون مرشداً سعيداً

في الدنيا والأخرة تنل شهيداً

فهو يقول أن أردت أن تعيش سعيداً في دنياك وتفوز بالنجاة في اخراكا فعليك أن

تلاف نفسك من قبل المنون وفق

مما اشتغلت به عن بارئ النيسم

وقد ذكر أبيات يعظ فيها من جاء إليه من المريدين يطلب الوصول إلي الله وهيئته تنافي ذلك فقد كان يعظهم وعظاً جميلاً فهو يقول لهم[2]

مجمل القلب أن رمت الدخول إلي

ديوان أسرارنا كيما تكون لنا

جماله بثياب الله ليس كما

يقال من جوخ أو مما به فتنا

منها ثلاثة لابد أن تحصلها

لأنها سره في أصل شرعتنا

أزار ودرع ورداء الزهد يا ولدي

وتاج حب صحيح فيك قد كمنا

إذ عدمن لها فاقطع بأنك لا

[1] محمد الطاهر المجذوب – مناقب المجذوب ص ٥٨.

[2] نفس المرجع السابق ص ٦١.

تحوم حماهم ساعة زمنا

فالأبيات أعلاه في الوعظ والإرشاد للمريدين الذي يريدون أن يرونا معهم فهو يقول أن يحملوا قلوبهم ويزينوها أن أرادوا الدخول في "ديوان إسرارنا" والمقصود بها الطريقة فلكي يكونوا قبل اطلاعهم ومريديهم فعليهم أن يحملوا القلوب بثياب الله وهلي ليس كباقي الثياب وهي ثياب التقوى وليست للفتنة ويقول أن هنالك ثلاثة لابد منها لأنها في الأصل شريعتنا التي نعتقد فيها وندين بها وهذه الثياب هي أزار من الورع والتقوى ورداء من الزهد وتاج من الحب فإذا عدمت شروط فتأكد بأنك لن تكون في شريعتنا وطرقتنا ولو ساعة واحدة من الزمن.

وهنالك أبيات يعاتب بها نفسه ويذمها علي عدم فعل الطاعات يقول مطلعها[1]

وتبدو الأعذار أن رمت طاعة

وان رمت للعصيان طرت بجملتي

أأثر دنياي علي الأخرى دائماً

وأوثر أهلها علي أهل آخرتي

ففي القصيدة يعاتب المجذوب النفس الأمارة بالسوء ويذمها بعدم انقيادها له علي فعل الطاعات فهو يقول أنني أردت فعل الطاعات وأفعال الخير وهممت بالقيام بها تجلت لي نفس تؤثر دائماً العيش في هذه الدنيا الفانية تؤثر أهلها علي أهل الآخرة ثم يقول

إذا قمت وقتاً للصلاة تراكمت

علي من الدنيا الهموم وخفت

[1] محمد المجذوب قمر الدين – ديوان المجذوب ص١٨٣.

كان لم يكن أومن بقول رسولنا

يناجي المصلي ربه وبئس حالتي

فهو يقول إذا قمت لأداء الصلاة تراكمت حولي الهموم والكآبة كأنني لم أومن بقول رسولنا الكريم (صلي الله علي وسلم) أن المصلي يناجي ربه في صلاته فبئس الحالة حالتي فالمجذوب كما نري جرد من نفسه شخص يعاتبه علي فعل الطاعات.

وله أبيات تدعو إلي الحث علي علو الهمة[١]

شمر لنيل الفضل أن رمت العلا

فالفضل والعليا لكل مشمر

خوف الإله وحبه والزهد في

دار الدنية خذ لقلبك عمر

والذل والخسري لطالب راحة

لو يبلغنَّ في العمر عمر معمر

فالمجذوب يحثهم علي الجد في العمل والاجتهاد لبلوغ المرام فالجد والنجاح دائماً حليف المجدين واجعل الخوف من الله ومحبة الزهد في دار الدنيا همك في الدنيا أما الخسران والذل لكل طالب راحة حتى لو بلغ من العمر عر معمر أي مئات السنين كما أن هنالك أبيات يعاقب بها نفسه ويذكرها بإحسان الله تعالي فيقول

اسات علي نفسي وربي محسن

بأنواع إحسان يليق بفضله

فوا خجلتي منه يوم لقائه

---

[١] محمد المجذوب قمر الدين – ديوان المجذوب ص ١٨٣.

ووا هلكتي أن قابلني بعدله

أتيت ذنوباً لو سواي أتي بها

لذاب حياء من مخافة فعله

وللمجذوب قصائد كثيرة في تأنيب الضمير وتأديب النفس حيث يقول في القصيدة أعلاه أنني اسات لنفسي وربي محسن لها اسات يليق بعظمته وجلاله لكن يا للندم والحسرة من يوم لقائه واهلاكي إذا قابلني ربي بعدله وإحسانه وقابلته بذنوبي ويقول أن لي من الذنوب له غيري آتي بها لذاب خجلاً وحياءً من أفعاله ونحن نشهد في الأبيات أعلاه التحسر وإظهار الندم علي ما فات وعلي التقصير في جانب الله عز وجل.

وهكذا نلاحظ كيف جاءت أغراض شعره المختلفة صادقة فقد كان شعره صدي لحياته معبر عنها خير تعبير بكل ما فيها من دعاء ورجاء واستغاثة وتوسل ومدح وخوف وغيرها مصوراً فيها في كل ذلك بالضعف والعجز أمام الله طالباً المدد الروحي منه.

كما نلاحظ في شعره وضوح سمات شخصيته الدينية الصوفية ويتضح ذلك في ديوانه المنثور حيث نلاحظ أن شعره ارقي أنواع الشعر الصوفي في السودان صياغة وأداء ومضموناً فقد شغل الناس بروائعه وأدائه المتميز في التقوى والصلاح والعلم ونعم الوارث كما تميز شعره بالجودة والوضوح والبلاغة والأصالة وطابع الحب والهيام وأنت تقرا أو تستمع لشعره تحس بنشوة الشاعر المحب لرسول الله (صلي الله علي وسلم) وتلمس آثر الثقافة العربية والدينية والصوفية علماً بأنه عاش في جو معطر بأريج المدائح النبوية وشب عليها لان أسرته كانت تحافظ علي الأصول الإسلامية والصوفية معاً.

السِمات الفنية لشعر المجذوب

مما تقدم وعلي حسب ما أوردنا من نصوص شعرية وفي حديثنا عن الشاعر محمد مجذوب قمر الدين رجل التصوف والتبتل وحب الله ورسوله نلاحظ مدي تمسكه بالحقيقة المحمدية والنور المحمدي ومدي تعلقه وتمسكه وإظهاره الوفاء والضعف والخضوع أمامها لأنها مصدر النور الإلهي وكذلك لاحظنا مدي عشقه وهيامه وولهه بالنور المحمدي وذلك لتربيته في بيئة صوفية كما نلاحظ أن العاطفة في شعره صادقة خالية من التزييف والتزويق والمبالغة والاصطناع لان عدم الصدق العاطفي يفقد الحرارة في التعبير والعاطفة الجياشة النابعة من ضمير ينضح صدقاً وعذوبة وحرارة وشوقاً بحب المصطفي النبي المجتبي سيد الخلق ونبي البشرية المرسل رحمة للعالمين الشفيع يوم الحساب يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتي الله بقلب سليم.

ولا شك أن التزييف المبالغة والاصطناع يفقد الشعر بريقه ولمعانه كما يفقده الروح والجمال التي تميزه عن غيره وهو ما نجده في شعر المجاذيب بصفة عامة وشعر محمد المجذوب الصغير بصفة خاصة وبهذا الحب الجارف الذي فاض وتدفق فشمل عليه روحه ونفسه وملك عليه جوارحه اخذ في مدح الهادي البشير والسراج المنير بما تناوله غيره من المتصوفة فتحدث عن كل جوانب حياته (صلي الله علي وسلم) لقد جادت قريحته المتوقدة وروحه المتجددة في مدح سيد الخلق فتحدث بإسهاب عن معجزاته وخوارقه التي لهج بها كثير من الشعراء الذي مدحوه فكما هب النسيم أو لاح برق يذكره الرسول (صلي الله علي وسلم) وما يعانيه هو من حبه له وهذا البرق والنسيم أسلوب رمزي ليس حقيقة ينقلنا إلي وصف أخلاقهم (صلي الله علي وسلم) وشمائله وسجاياه التي

فاقت حد الوصف وما تحلي به من فضائل الأخلاق والصفات والأفعال دون أن يركز علي موضوع معين فنجد القصيدة الواحدة أخلاقه ومعجزاته وكل ما يتصل به لقد مدح المجذوب المصطفي (صلي الله علي وسلم) مكرراً معانيه مترددا في كل قصيدة وكان يعمد إلي الاستغاثة برسول الله (صلي الله علي وسلم) ويكرر طلب العون من الله والنجدة من الرسول (صلي الله علي وسلم) والقصائد المجذوبية شانها شان بقية قصائد التصوف والغزل وقد بدا كثير من شعراء التصوف قصائدهم بالغزل وذكر الديار والدمن والآثار فيبكي ويخاطب الربع ويستوقف الرفيق والنسيم والرياح ليجعل كل ذلك سبباً لذكر أهل المحبوب الظاعنين عنها ثم يبين الغاية والغرض وحث الرياح أن تسرع وتصل به إلي المدينة المنورة حيث المحبوب الجميل (صلي الله علي وسلم) والمطلع في ديوان المجذوب يجد أن أشعاره قد بلغت مبلغاً حسناً من جودة الأداء وسلامة العبارة والإتقان صياغة وأداء ومضموناً والجودة والوضوح والبلاغة والأصالة وطابع الحب والهيام الذي أحاط بشاعريته وحسن التعبير وحرارة العاطفة وهي صورة أدبية راقية تستتكر من يتذوق الأدب والأدب الصوفي خاصة من حسن نسجها وجميل وشيها وخاصة هذا الديوان للشيخ المجذوب رضي الله عنه.

فموضوعاته تناول فيها النور المحمدي وشمائل الرسول وأخلاقه وسيرته وجهاده والإسراء والمعراج ومولده .....الخ.

أما لغته كانت رصينة جزلة سلسلة سهلة خالية من الغموض والمبالغة تمت طريقة النظم والقافية فهي متنوعة بين كل مجموعة من الأبيات معتمداً علي البحور الخفيفة وقد ظهر التأثر بالقران واضحاً في شعره والنصر المبين في غزوة بدر وأنهم خير امة أخرجت للناس ومال الشهداء وهم أحياء عند ربهم يرزقون.

يقول المجذوب

وجئت لنا من ربنا بكتابه

يقُصُ علينا ما لا تعيه الدفاترُ

بجاهك نلنا ما (بكنتم)[1] فيا لها

فذلك فضل الله والفضل ظاهرُ

كما ورد في الديوان وقد تناول جملة من المعاني التي يعجز القلم عن تصويرها خالي من التكلف والتصنع الذي يفقد القصيدة رونقها في عاطفة صادقة خالية من المبالغة والغلو والتكلف والصنعة متأثراً بمن سبقه من شعراء المديح أمثال البوصيري والبرعي وابن الفارض.

وقد نظم محمد مجذوب ابن الشيخ الطاهر المجذوب قصيدة طويلة انشدها في مدح ديوان الشيخ المجذوب هذا الديوان المبارك ص ١٨٨ .

يقول محمد المجذوب ابن الشيخ الطاهر المجذوب في مدح ديوان المجذوب[2]

أبدت سليمي وانجلي بسناها

غسق الدجى إذ أخجلت من ضاها

أم ذا بريق الثنايا يجتلي

يا حبذاك المجتلي ولماها

أم تلك ليلي الاخيلية أسفرت

عن وجهها فحمي الظلام ضياها

أم تلك لبني إذ سنت كشحاً علي

ذي صبوة لا يبتغي سلوها

[1] محمد المجذوب قمر الدين – ديوان المجذوب ص ١٢٤.

[2] نفس المرجع السابق ص ١٨٨.

فيقول ذهل بانت وظهرت سليمي بنورها فانجلي بهذا النور الظلام الذي كان سائداً علينا ثم يتساءل هل ليلي أسفرت عن وجهها أم أنها لبني أم أنها هند أم سعاد أم زينب وغيرها مما يكني به من مدلولات صوفية ثم يقول

بل ذاك ديوان ينادي حاله

قد عز أن تجدوا له أشباها

بل ذا فريد ما له كمماثل

وعروس خدر أُعِدمت أكفاها

أن كنت من يهوى الغوالي الفائقات

فسله من إخبارها ونباها

أو كنت تهوى طيبة الفخر العلي

فاستفته يا طالبا فتياها

فيقول الشيخ المجذوب اذ يمدح الديوان انه ديوان فريد تميز عن كثير من الدواوين وقد عز أن تجد له مثيل أو شبيه وقد شبهه بالعروس في خدرها لا مثيل لها ثم يقول إذا كنت ممن يطلب العلا فسوف يخبرك عن أخبارها ونباها أو كنت تهوى طيبة الفخر فاستفته في أمرها سيجيبك ثم يواصل فيقول[1]

كنز المعارف إن أرَدت نُعوتهُ

بدر البِدور أعزّها أسناها

قمر المعالي ما المعالي هي التي

يَخشي الفتي ذو العَزمِ أن يلقاها

ثم يتجه بعدها لمدح شيخه المجذوب فيقول

---

[1] المجذوب محمد الطاهر المجذوب – ديوان المجذوب ص ١٨٩.

سندي وغوثي عُدتي في شِدتي

مجذوب حذبِ هو المزمل طه

ربي به غفر المساوي أرتجي

يا من ذنوب المجرمين عفاها

ثم يصلي ويسلم علي من لا نبي بعده

ثم الصلاة علي الذي ساد الورى

من قط فوه عن الهوى ما فاها

ما أنشد الشيخ ألمرجّي جودكم

أبدت سليمي وانجلي سناها

وفاته

هذا قليل من كثير وغيض من فيض في شاعر ملك زمام الشعر الصوفي وسار بالركب في كنف المصفي (صلي الله علي وسلم) الكريم داعياً الخلق إلي ربه حاثهم علي الوداد والوئام متنقلاً من دار إلي دار في ارض الشمال وسواكن وطيبة الأخيار مدينة الرسول المختار (صلي الله علي وسلم) ماراً ببربر وغيرها حتى حط به المقام في دامر المجذوب داره ودار أبائه وهو يظهر الكرامات العجيبة حتى أتاه اليقين وهادم اللذات وهو متزود بخير الزاد وكان ذلك عصر الجمعة لسبع وعشرين من المحرم سنة سبع وأربعين مائتين ألف من الهجرة النبوية ١٢٤٧/١/٢٧هجرية.

رحم الله الشيخ المجذوب وفتح له دار النعيم والسلام الجلال والكمال وانزله مع الأخيار الإبرار وجعل قبره روضة من رياض سيد الأنفال الله عل عرشه وبرد فرشه وجعل الفردوس مقامه وأتم له صوابه وما به.

يقول عنه كاتب الشونة[١] وعن وفاته "في عام سبع وأربعين ومائتين وألف من هجرة المصطفي (صلي الله علي وسلم) توفي ولي الله الفاضل بصفة الأماثل من جمع بين الحقيقة والشريعة صاحب الكرامات الظاهرة من قال في حقه القائل"

حلف الزمان ليأتيّن بمثله

حنثت يمينك يا زمان فكفرُ

ولما توفي الشيخ المجذوب ضج الناس وصرخوا بالبكاء والعويل حزناً علي ما الم بهم وقد رثاه كثير من العلماء بقصائد يعجز المقام لذكرها.

---

[١] احمد الحاج كاتب الشونة – في تاريخ السلطنة السنارية – تحقيق الشاطر بصيلي عبد الجليل جار أحياء العربية الباب الحلبي القاهرة ١٩٦١، ص ١١١.

وقد أنشأ تلميذه الأستاذ محمد مجذوب جلال الدين قصيدة في مدح الشيخ المجذوب يرجو بها الإمداد من الله والتوفيق والسداد

يقول فيها[1]

ايا مجذوب يا قمر اللياليِ

ويا محبوب يا بدر الكَمالِ

ويا شرح الصدور ويا شِفاها

ويا من رقي درج المعاليِ

ويا طب النفوس ويا دواها

ومُثَبت هديها بعد الضلالِ

ويا بحر العلوم ومنتهاها

ويا حسن الشمائل والفِعالِ

ويا شمس البلاد ويا ضِياها

ويا من حبي كل الخِصالِ

ويا من غابَ عن نفسي وغير

بجمع عند حضرة ذي الجَلالِ

ويا ظهر الشريعة يا رضِاها

ويا بطن الحقيقة والكَمالِ

وهي قصيدة طويلة مدح فيها خصال الشيخ الجليل فقد كان شيخه واستاذه وسنده وفي القصيدة يشبهه بالقمر المنير وبالبدر في تمامه وهو الدواء والبلسم للقلوب كيف لا ويكون كذلك وقد درج إلي المعالم وسمي إلي اعلي المراتب وهو

---

[1] محمد مجذوب جلال الدين – أسني المطالب في مختصر المناقب – مطبعة مصر – لم يثبت تاريخ الطبع ص ١٤.

البحر الزاخر بالعلوم علي مختلف أنواعها وهو صاحب الخلق الرفيع والخصال الحميدة وهو الشمس التي أضاءت الظلماء وكشفت الجهل وهو الذي غاب عنا عند حضرة ذي الجلال وفي ذلك يحدثنا المجذوب عن نفسه فيقول[1]

حُضورُ إذا غِبنا وغَيبُ حُضُورنا

وَذا عَجب فَليعجَب المُتعجبُ

وهو ايضاً ظهر الشريعة وباطن الحقيقة التي لا يدركها أي إنسان ويقول انه قد خصه من النبي (صلي الله علي وسلم) بان علمه حروف سر فصار فقيها وعالماً:

وعلّمكَ الرَسولُ حُروفَ سر

غدت سبعاً مُمنعةُ المنـالِ

فَصِرتُ فقيهاً ومُديرُ

كأساتها تَسقِي مُريدكَ باتِصال

وهو الذي خاطبه الرسول بسر كتمه عن العامة حتى لا يؤتي بأكبر فتنة كما قال في ذلك

وخُوطِبتُ في سري بِسرِ كَتَمتهُ

مَخافةُ أن يؤتيَ بأكبرَ فِتنةِ

فهو العالم الفقيه الذي يمد حكايات وصله ومحبته علي الدوام ويستمر في المدح رضي الله عنه وأرضاه.

[1] محمد المجذوب قمر الدين – مجموعة المجذوب ص ١٧٩.

الصورة الفنية

مفهوم الصورة الفنية:

مجال الشعر هو الشعور سواء أثار الشاعر هذا الشعور في تجربة ذاتية محضة وكشف فيها عن جانب من جوانب النفس أو نقد من خلال تجربته الذاتية إلي مسائل الكون أو مشكلة من مشكلات المجتمع تتراءى من ثنايا شعوره وإحساسه.

فإثارة الشعور والإحساس مقدمة في الشعر علي إثارة الفكر علي النقيض من المسرحية والقصة فإثارة الفكر من طبيعة العمل الفني فيهما قبل إثارة الشعور ولذا كان موقف القاص أو المسرحي من المسائل والمشكلات موقفاً تحليلياً علي حين يظل موقف الشاعر في تصويره تجميعياً أكثر منه تحليلياً.

ولا نقصد من ذلك إلي القول بان الشاعر في عمله الفني يكون ثائر الشعور بل أي انه يثير في القارئ الشعور بالوسائل الفنية في الصياغة وذلك بتأليف أصوات موسيقية تضيف موسيقاها إلي قوة التصوير فتراسل بها المشاعر وهذه المشاعر بدورها طريق بث أفكار تتمكن من النفس عن طريق التصوير بالعبارات الموقعة علي الرغم من أن هذه العبارات توحي بالأفكار ولا تدل صراحة عليها فقوة الشعور تتمثل في الإيحاء بالأفكار عن طريق الصور لا في التصريح بالأفكار مجردة ولا في المبالغة في وصفها ومدار الإيحاء بالأفكار عن طريق الصور لا في التصريح بالأفكار مجردة ولا في المبالغة في وصفها ومدار الإيحاء علي التعبير عن التجربة ووقائعها لا علي تسمية ما

توليده في النفس من عواطف، بل أن هذه التسمية تضعف من قيمة التعبير الفنية لأنها تجعل المشاعر والأحاسيس اقرب إلي التعتيم والتجريد وابعد من التصوير والتخصيص[١]

والإيحاء والتصوير – إذا انعدما في القصيدة – صارت نظماً وفقدت روح الشعر كما أنهما قد يوجدان في بعض فقرات في النثر، فتكون له حينئذ صبغة الشعر[٢].

وإذا نظرنا إلي الشعر الكامل في صفته من حيث هو شعر، ثم إلي النثر بوصفه نثراً أمكننا أن نفرق بين لغتيهما من حيث التدارك الفني العام والموضوع فلغة الشعر لغة العاطفة ولغة النثر لغة العقل ذلك أن غاية نقل أفكار المتكلم والكاتب فعبارته يجب أن تشف في يسر عن القصد والجمل فيه تقديرية وعلامات علي معانيها ووسائل تنتهي بانتهاء الغاية أما الشعر فانه يعتمد علي شعور الشاعر بنفسه وبما حوله شعراً يتجاوب هو معه فيندفع إلي الكشف فنياً عن خبايا النفس أو الكون استجابة لهذا الشعور ولغة هي صور.

فالكلمات والعبارات في الشعر يقصد بها بعث صور إيحائية وفي هذه الصور يعيد الشاعر إلي الكلمات قوة معانيها التصويرية الفطرية في اللغة إذا الأصل في الكلمات في نشأتها الأولي كانت تدل علي صور حسية ثم صارت مجردة من المحسات وهذا معني ما يقال من أن الكلمات في الأصل كانت هيرغلوفية الدلالة أو تصويرية والشاعر يحاول أن يتحدث بلغة تصويرية في مفرداته وجمله أي أنه يعيد إلي اللغة دلالتها الهيروغلوفية التصويرية الأولي بما يبث في لغته من صور وخيالات[٣].

---

[١] النقد الأدبي الحديث، تأليف الدكتور محمد غنيمي هلال – الناشر دار الثقافة بيروت – لبنان ١٩٧٣/٧/١، : ٣٧٦.

[٢] نفس المرجع السابق، ص ٣٧٧.

[٣] النقد الأدبي الحديث محمد غنيمي هلال، ٢٧٧ – ٢٧٨.

ولذلك يتضح ما للصورة من أهمية في كل عمل فني فالصورة الفنية – كما يقول الدارسون :(سمة بارزة من سمات العمل الأدبي واحدي المكونات الأصلية لبناء القصيدة، ولا يخلو عمل شعري من التصوير).

وقد اتسع مفهوم الصورة ليحوى ما هو ابعد من الوسائل البلاغية المعروفة فكان في كل تعبير أدبي تصوير فني ينبعث من مقدرة الشاعر علي تركيب عباراته وتنسيق كلماته وعلي قدرته في استنباط الإيحاء الفني الكامل في باطن الألفاظ وفي علاقتها بعضها البعض فيكسو التعبير جمالاً فنياً والصورة تعبر عن تجربة الشاعر الفنية التي يرمز بها في الواقع كما يتخيله وقد لا تسعفه الألفاظ في اللغة العادية فيري نفسه مدفوعاً بثورة خيالية إلي تشكيل العلاقات خاصة يؤلفها بخياله المبدع تعبر عن رؤية خاصة به وتنمو الصورة الفنية نتيجة خلق العلاقات الجديدة بين مفردات اللغة التي عجزت في وضعها العادي عن التشبيه في تحقيق التصوير المنشود وان عد التشبيه مرحلة الصبح من الاستعارة في الظهور والكثرة فان الاستعارة تتعاون معه لتطبع بنسق من النضوج الفني والأداء المتطور[١].

ومن الدراسات ما يوضح الصورة أنها مرادفة للاستعمال الاستعاري فتستعمل كلمة الصورة – عادة للدلالة علي كل ما له صلة بالتعبير الحسي

وتطلق احياناً مرادفة للاستعمال الاستعاري للكلمات فان لفظ الاستعارة إذا حسم إدراكه قد يكون اهدي من لفظ الصورة إذا جاز الحديث المفرد عنها لم تستغل بحال ما عن الإدراك الاستعاري وان الاستعمال الاستعاري يربط الفرد بالكل، ويربط اللحظة بالديمومة، وتنشأ الصورة حيث يتسع الشعور باجتماعية الحياة

[١] الصورة الفنية في عشر دعبل بن علي الخزاعي – الدكتور علي إبراهيم أبو زيد – الطبعة الأولي – دار المعارف بمصر ١٩٨م.١

حتى تشمل كافة الموجودات وأول مظهر جمالي للاستعارة استعادة الحياة وتوازنها واستئناف الانسجام الداخلي بين المشاركين[1].

ويتعاون في تشكل الصورة حواس الشاعر وملكاته وقدرته في الربط بين الأشياء المتنافرة في الواقع لإثارة العواطف والملمات التخيلية وقد يربط الشاعر بين الأمور المتباعدة بالتشبيه وقد يعقد الصلة بين الإنسان والطبيعة بالاستعارة فيجعل من الطبيعة ذاتاً ومن الذات طبيعة خارجه فتجمع الصورة بين التشبيه والاستعارة وغيرها للمسائل الأداء المجازي والتصوير البلاغي[2]

التشبيه ودوره في إبراز الصورة الفنية:

مما لا شك فيه أن للتشبيه دور بارز في تشكيل الصورة الفنية الجمالية، فالتشبيه لغة هو التمثيل حين يقال هذا شبه هذا ومثله وشبهت الشيء بالشيء أقمته مقامه لما بينهما من الصفة المشتركة.

واصطلاحاً هو إلحاق أمر المشبه بأمر المشبه به في معني مشترك (وجه الشبه) بأداة الكاف وكان وما في معناهما لغرض فائدة[3]

وللتشبيه دور بارز في تحقيق العلاقة بين الأشياء المتشابهة فالشاعر كما يقول الدكتور علي إبراهيم أبو زيد يبذل من جهده الفني قدراً عظيماً لتحقيق العلاقة بين عناصر الواقع والفن وقد تكون العلاقة كامنة غير ظاهرة فيتوسل بالتشبيه الذي غالباً ما يعتمد علي المدركات الحسية في تشكيله ليظهر علاقة

---

[1] الصورة الفنية في عشر دعبل بن علي الخزاعي – الدكتور علي إبراهيم ابو زيد – الطبعة الأولي – دار المعارف بمصر ١٩٨١م ص ٣٤١-٢٤٢.

[2] نفسه ص : ٢٤٢، وللتوسع في مفهوم الصورة ينظر التركيب اللغوي للأدب الدكتور عبد البديع – الطبعة الأولي – دار النهضة المصرية القاهرة ١٩٧٠، ص ١٩٢ – والصورة الأدبية / مصطفي ناصف/ الطبعة الأولي مكتبة القاهرة ١٩٥٨، ص ٣-٨.

[3] احمد مصطفي المراغي – علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع أستاذ اللغة العربية كلية دار العلوم راجعه واشرف علي تصحيحه محمود أمين النوادي الأستاذ بالدراسات العليا جامعة الأزهر الطبعة السادسة تلتزم الطبع والنشر المكتبة المحمودية التجارية بمصر بدون تاريخ د ت ص ٢١٨).

جديدة بين طرفين يشتركان في أمور وصفات تحقيقاً للمتعة والفائدة التي يهدف إليها الشاعر ومما لا شك فيه أن حسن التشبيه ما وقع بين الشيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيها حتى يدني بهما إلي حال الاتحاد[١]

وقد عمد الشعراء التشبيه لتصوير ما يضعونه من مناظر الطبيعة لأنه مظهر من مظاهر الأداء اللغوي وهو مبني علي ما تلمحه النفس من اشتراك النفس في وصف خاص وهو أصل من أصول الصورة الشعرية وأكثر شيوعاً من الاستعارة في الشعر العربي والتشبيه اكتسب مكانته بين فنون التصوير الباني من حيث الحداثة الأثر الأكبر في النفس لأنه يشتمل علي عناصر الصورة التي تخاطب الوجدان وتحمل في طياتها للعمل الفني ما يقوم مقام البرهان العقلي والحجة المنطقية في العمل[٢]

قول ابن قتيبة عن التشبيه (ليس كل الشعر يختار ويحفظ علي جودة اللفظ والمعني لكنه قد يختار ويحفظ علي أسباب منها الإصابة في التشبيه)[٣].

والشعراء متفاوتون في براعة الوصف فمنهم كان ذا فوق في هذا المجال وكان ابن سلام الجمحي يقول (كان علماؤنا يقولون أن أحسن الجاهلين تشبيهاً امرؤ القيس وأحسن أهل الإسلام ذو الرّمة)[٤]

وقال السيوطي (وقال طائفة الشعراء ثلاثة جاهلي وإسلامي ومولد فالجاهلي امرؤ القيس والإسلامي ذو الرّمة والمولد بن المعتز)[٥]

---

[١] الصورة الفنية في شعر ذعبل بن علي الخزاعي – كلية الآداب جامعة المنصورة طبعة (٢) ١٩٨٣ – الناشر دار المعارف ص ٢٥٩.

[٢] شعر الطبيعة في العصر العباسي الثاني الناشر مؤسسية الرسالة بيروت الطبعة الأولي ١٤٠٩ هـ – ١٩٩٠م ، ص ١٦٦.

[٣] ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة – لشعر والشعراء – قدم له – الشيخ حسن تميم راجعه واعد فيه رسالة الشيخ عبد المنعم العريان – دار احياء العلوم ، بيروت الطبعة الخامسة ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م ص ٣٧.

[٤] ابو الفرج علي بن الحسن الأصفهاني – الأغاني الجزء ١٦ مطبعة الساس د ت ، ص ١٠٩.

[٥] عبد الرحمن جلال الدين السيوطي – المزهر في علوم اللغة وأنواعها شرحه وضبطه وصححه محمد احمد جاد المولي بك وعلي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل إبراهيم الجزء الثاني منشورات المكتبة العصرية ، صبدا بيروت ١٤١٢هـ – ١٩٩٢ ص ٤٨٤ – ٤٨٥.

وإذا رجعنا لشاعرنا محمد المجذوب قمر الدين لنري اثر التشبيه في شعره وبناء صوره الفنية نلاحظ أنه قد أفاض في وصف النبي الأكرم (صلي الله علي وسلم) بكم من التشبيهات الشعرية الراقية فتشبيهاته تخلب اللب وتأسر القلب مما يؤكد صدق تجربته الشعرية وإتيانه بالرموز الصرفية وفلسفتها.

وقد استخدم فنون وألوان التشبيه مجملاً ومفصلاً ومرسلاً وتمثيلاً وضمنياً وبليغاً .... الخ.

ها هو يقول في مدحه (صلي الله علي وسلم)

ذو قامة مربوعة رَبُ الجمالِ

وكان أبيضَ لونه كَسنا بَهر

هو واسعُ العينين أكحلُ ذو دَعجْ

هو أهدبُ الأشفارِ رَبْ المفُتخر

أيضاً أزّج الحاجبين مُفَلج ال

أسنان ثَغرهُ واسعُ يُبدي الدُرر

فها هو شبه المصطفي (صلي الله علي وسلم) بقامته المربوعة ولونه الأبيض الناصع اللامع بالبرق الذي يبهر ويعجب ويدهش من يراه وأسنانه في بريها ولمعانها وبياضها كالدرر المنثورة كما يقول فيه[1]

وجبينه الأسني كذلك واسع

فكأنما البدر المنير به ظهر

وكذلك العرق الشريف كلؤلؤ

أيضاً يفوق المسك ينفح في الحجر

وإذا مشي خير الورى يتكفأ

فكأنما ينحط من صبب الصخر

---

[1] محمد مجذوب قمر الدين – ديوان المجذوب ص ٩٤ ، ٩٥.

يجد المصافح نشر رائحة شذا

في كفه يوماً كما هو مشتهر

وكذا الصبي بذاك يعرف مسه

يتلألأ الوجه الشريف كما القمر

فها هو يصف جبينه الواسع المضيء المشرق كان البدر المنير قد طهر به أما عرقه الشريف ورائحة الرائحة المسك وهو يتكفأ في مشيته كأنه ويفوح طيبه ويشرق وجهه ويلمع كأنه القمر في ليلة تمامه.

ويقول فيه

في الحسن يفوق علي الصور

جبينه يلالي كما البدر

وفيه دواماً تري البشري

صفوح مليح بلا كدر

ويقول في المربعات العشرة[1]

فنور المصطفي يسطع

مضيئاً دائماً يلمع

ويقول

جبين فيه كالبدر

وخد منه كالزهر

ضليع فمّه عدل

وفيه الدر قد كملا

ويقول فيه[2]

---

[1] محمد مجذوب قمر الدين – ديوان المجذوب ص ١٥٢ – ١٥٣، ١٥٤.

[2] نفس المرجع السابق – ص ٩٤.

ووجه له كالبدر بل هو أنور

وريح له كالمسك بل هو أزفر

وخد له كالزهر بل هو أزهر

وكف له كالبحر بل هو أكبر

ويقول أيضاً

محياك كالبدر المنير وأكمل

وعينيك من نور الإله تكحل

وخدك كالزهر الأنيق وأحفل

وأنفك يعلوه الضياء يُهلهل

فها هو يشبه جبينه بالضياء واللمعان بالبدر وخده في الجمال والنضارة والزهر ورائحته في شذاها وعبيرها وأريجها بالمسك إلي غيرها من الأوصاف التي تليق بمقامه (صلي الله علي وسلم).

وأكثر ما كان يستخدم الأداة الكاف وكأن في إيصال الصورة وقلما يستخدم غيرهما ومصدر التشبيه عنده هو المصطفي (صلي الله علي وسلم) فلا عجب أن تهيم بها نفس شاعرنا وان يتخذها وسيلة لتشبيهاته الرائعة.

فقد شبه الرسول الكريم بالشمس والبدر وبالبحر وحواجبه بالكثرة وعيونه بالبقر الوحشي وخدوده بالزهر وريقه بالمسك ووجهه بالصبح وأسنانه بالدر مما يعجز القلم عن ذكره.

الاستعارة:

وكما للتشبيه دور في بيان الصورة الفنية وإجلائها في الشعر كذلك الاستعارة حيث يقول عبد القاهر الجرجاني في ذلك (اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفاً تدل الشواهد علي انه) اختص به حين وضع ثم يستعمله الشاعر وغيرها في غير ذلك الأصل وينقله نقلاً غير لازم فيكون كالعارية[1]

كذلك في مواضع آخر (فالاستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع الإفصاح بالتشبيه وتظهره وتجئ إلي اسم المشبه به وتعيره المشبه وتجريه عليه فبدلاً من أن يقول رأيت رجلاً في شجاعته كالأسد تقول رأيت أسد)[2]

وجري ذكرها في الصناعتين لأبي هلال العسكري بأنها (نقل العبارة عن موضع استعمالها في اللغة إلي غيره لغرض وذلك الغرض (أما) أن يكون شرح المعني وفضل إلا بأنه عنه أو تأكيده والمبالغة فيه "أو" الإشارة إليه بالقليل من اللفظ "أو" بحسن الغرض الذي يبرز فيه وهذه الأوصاف موجودة في الاستعارة المصيبة ولولا أن الاستعارة تتضمن ما لا تتضمنه الحقيقة من زيادة فائدة لكانت الحقيقة أولي منها استعمالاً"[3]

ومما لا شك فيه الاستعارة في الشعر كالنحو في اللغة فكلما اطردت اللغة قبل أن يعرف متكلموها القواعد ويفطنوا علي وجودها كذلك صدر الشعراء

---

[1] اسرار البلاغة الامام عبد القاهر الجرجاني صححها علي نسخة الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده التي قراها دروساً في الجامع الازهر واودع تعليقها علي حواشيها ووضع بجانبها حرف (ش) المقتطع من شيخنا وعلق حواشيه السيد محمد رشيد رضا منشئ المنار – دار الكتب المصرية العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولي ١٤٠٩ – ١٩٨٨ – ص ١٣٧.

[2] دلائل الاعجاز في علم المعاني تاليف الامام عبد القاهر الجرجاني صححها علي نسخة الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده التي قراها دروساً في الجامع الازهر واودع تعليقاتها علي حواشيها ووضع بجانبها حرف (ش) المقتطع من شيخنا وعلق حواشيه السيد محمد رشيد رضا منشيء المنار – دار الكتب المصرية العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولي ١٤٠٩ – ١٩٨٨، ص ٥٣.

[3] كتاب الصناعتين الكتابة والشعر لابي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري المتوفي سنة ٣٩٥هـ حققه وضبط نصه الدكتور مفيد قميحة الناشر – دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولي ١٤٠١هـ – ١٩٨١م الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ – ١٩٨٢م ص ٢٥٦.

عن الاستعارة لفطرتهم دون معرفة نظرية ولا وعي تحليلي لطرق استعمالها لذلك جاءت الاستعارات القديمة صادقة لان ملكة الشاعر انتزعتها من طبائع الأشياء والأصح أن الأشياء أملتها علي الشعراء دون أن يصيغوا منها شيئاً[١].

ومما لاشك فيه أن الاستعارة تحتل مكانه مرموقة في أسرار البلاغة كيف لا وعبد القادر الجرجاني يعتبرها الأداة الأساسية التي تحول المعاني النثرية إلي معان شعرية رغم أنها ليست وحدها ما يقوم بهذا الدور لكنها رغم ذلك فان دورها لا يقارن بأي أداة أخري[٢]

فعبد القاهر الجرجاني يعتبر الاستعارة أمد ميداناً واشد افتتاناً وأكثر جرياناً وأعجب حسناً وإحساناً وواسع سعة وابعد غوراً وأسحر سحراً ... الخ.

فهي تعطي الكثير من المعالم بقليل من اللفظ واللفظة الواحدة تكسب فيها الفوائد حتى تراها مكررة في مواضع فتخرج من الصدفة الواحدة كثير من الدرر ومن الغصن الواحد أنواعاً من الثمر ويكون الكلام بها حد البلاغة ووصف البراعة فنجدها هي بدورها وروضاً هي زهرها وعرائش لم تعدها حليها فهي عواطل وكواعب لم تحسنها ليس لها من الحسن حظاً كامل فأنت تري بها الجماد حياً ناطقاً والأعجم فصيحاً والإمام الخرس مبينة والمعاني الخفية بادية جلية وإذا نظرنا في المقاييس وجدناها ولا ناصر لها اعز منا ولا رونق لها ما لم تزنها وتري التشبيهات غير معجبة ما لم تكنها وان شئت لطفت الوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لا تنالها إلا الظنون وهذه إشارات وتلويحات في بدائعها وإنما ينجلي الغرض منها ويبين إذا تكلم عن التفاصيل وافرد كل فن بالتمثيل[٣]

[١] الصورة الفنية في شعر دعبل علي الخزامي – الدكتور علي إبراهيم ابو زيد طبعه اولي – دار المعارف بمصر.

[٢] الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي النقدي تأليف الولي محمد الطبعة الأولي ١٩٩٠م – الناشر المركز الثقافي العربي ص ٦٥.

[٣] اسرار البلاغة – عبد القادر الجرجاني – ص ٣٢ – ٣٣

ووجدت الاستعارة في النقد الحديث مكانها في النقد القديم فقد حري ذكرها علي لسان الدكتور محمد غنيمي هلال "اقوي أثرا من التشبيه لكن يجب إلا تكون بعيدة المنال ينبغي عدم المبالغة في البحث عنها حتى لا تبدوا غريبة ويجب أن لا"

تكون واضحة كل الوضوح حتى تبدو عديمة الأثر لان الناس لا يهتمون الأقيسة الواضحة كل الوضوح وهي التي يعرفها كل الناس ولا تحتاج إلي بحث كما لا يلقون بالاً لما هو غريب وبعيد المنال وإنما يهتمون بسماع الأفكار التي تحيط بها لمجرد سماعها وان كان معروف من قبل وحاضر في الذهن.

وعند إبراهيم أبو زيد أهم عناصر تشكيل الصورة الفنية حيث يقول "يستخدم الشاعر كلماته استخداماً جديداً ينمي اللغة في معجمه ليطوع الواقع من جديد ويدرك العلاقة بين أشياء مختلفة لم تكن بينها علاقة من قبل منذ خطي العالقات المألوفة لينسج علاقات مبكرة ويتعدي التعبير المباشر إلي غير المباشر متنوع أدوات تصويره ومن بينها الاستعارة فهي أهم عناصر تشكيل الصور وهي مرحلة النضج وعملية أدق من التشبيه ولا يوظفها الشاعر لتزيين العبارة أو للصيام بدور ثانوي قد يستغني عنه إنما هي وسيلة ضرورية للإدراك الجمالي والتشكيل الفني[١]".

ويقول دكتور جابر عصفور عن الاستعارة ومن المؤكد أننا في كل استعارة أصلية لسنا إزاء طرفين ثابتين فيما يزين وإنما إزاء طرفين يتفاعل كل منهما مع الآخر ويعدل منه فكل طرف منهما يفقد شيئاً من معناه الأصلي ويكتسب معني جديداً نتيجة لتفاعله مع الطرف الآخر داخل سياق الاستعارة الذي يتفاعل بدوره مع السياق الكامل للعمل الشعري أو الإداري وعلي هذا الأساس

---

[١] الصورة الفنية في شعر دعبل الخزامي تاليف دكور علي إبراهيم ابو زيد ص ٢٨٩.

فنحن لسنا إزاء عني معين حقيقي ومعني مجازي هو ترجمة للأول بل نحن في الحقيقة إزاء

معني جديد نابع من تفاعيل السياقات القديمة لكل طرف من طرفي الاستعارة داخل السياق الجديد الذي وضعت فيه.

وبهذا الفهم لا تصبح الاستعارة من قبيل النقل أو التعليق أو الادعاء وإنما تصبح لو أخذنا ابسط أشكالها فيها يقول ريتشارد "عبارة عن فكرتين مختلفتين تعملان معاً خلال كلمة أو عبارة واحدة تدعم كلتا الفكرتين ويكون معناها أي الاستعارة ومحصلة لتفاعلها"[١]

وكما هو معروف أنها تقسم إلي قسمين تصريحيه وهو ما صرح فيها بلفظ المشبه به أو المستعار وقد تحدث عبد القاهر الجرجاني عن ضروب وجه الشبه الجامعة بين المستعار والمستعار له.

فالضرب الأول من ضروب الاستعارة أن يري عني الكلمة المستعارة موجوداً في المستعار له من حيث عموم جنسه علي الحقيقة الا أن ذلك الجنس خصائص ومراتب في الفصيلة والنقض والقوة والضعف فاستعارة الطيران لغير ذي الجناح إذا اردنا السرعة.

اما الضرب الثاني فيشبه النوع الذي مضي وان لم يكن اياه كان يكون الشبه ماخوذاً من صفة موجودة في كل واحد من المستعار له والمستعار من علي الحقيقة مثل قولنا رايت شمساً أي انساناً يتهلل وجهه كالشمس وكذلك قولنا رايت اسداً أي رجلاً كالاسد في شجاعته فالوصف الجامع بينهما الشجاعة وهي علي حقيقتها موجودة في الإنسان وإنما يقع الفرق بينه وبين السبع الذي استعرت اسمه له فيها جهة القوة والضعف والزيادة والنقصان[٢]

---

[١] انظر الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي تاليف الدكتور جابر احمد عصفور – دار الطباعة والنشر القاهرة ١٩٧٤م – ص ٢٧..

[٢] اسر البلاغة عبد القاهر الجرجاني ص ٤١.

أما الضرب الثالث هو ما يقول

عنه وهو المصمم الخاص من الاستعارة وحده أن يكون الشبه مأخوذ من الصورة العقلية وذلك كاستعارة النور البيان والحجة الكاشفة عن الحق المزيلة للشك النافية للريب كما جاء في التنزيل في قوله عز وجل (واتبعوا النور الذي انزل حقه)[١]

وكاستعارة الصراط في قوله (اهدنا الصراط المستقيم)[٢] فليس هناك شك انه ليس بين النور والحجة ما بين جريان الطاشر وجري الفرس من الاشتراك في عموم الجنس لان النور صفة من صفات الاجسام المحسوسة والحجة كلام كذلك ليس بينهما ما بين الرجل والاسد من الاشتراك في طبيعة معلومة تكون في الحيوان كالشجاعة الا أن القلب إذا وردت عليه صار حاله شبيهه بحالة البصر إذا صادق النور ووجهت طلائعه نحوه وهذا شبه تحصل منه علي جنس ولا علي طبيعة وغريزة ولا علي هيئة وصورة تدخل في الحلقة دائماً صورة عقلية[٣].

وإذا عدنا للنظر في أسلوب الاستعارة عند محمد مجذوب قمر الدين لنري كيف ساهمت في تشكيل وبناء الصورة الفنية نجد أن الاستعارة في شعره قد وردت واحتلت مكانها تصريحية ومكنية رغم أنها عفوية وان الشاعر قد حفل بالمكتبة أكثر لان فيها التشخيص والتجسيم مما له الأثر الأكبر والأعمق في تشكيل الصورة الفنية الرائعة.

انظر إليه يقول في مدح المصطفي (صلي الله عليه وسلم)[٤]

سبحان ذي الذات العلية من بهر

بسنا مُحيّا من له انشق القمر

---

[١] سورة الاعراف الاية ١٥٧.

[٢] سورة الفاتحة الاية ٦.

[٣] اسرار البلاغة لعبد القادر الجرجاني ص ٤٩-٥٠.

[٤] ديوان المجذوب ص ٨٨، ٨٩، ٩٤

شمس النبيين الكرام إمامهم

نور الهدي بحر الندي خير البشر

بجواهر الألفاظ نظم عقده

يا حبذا عقد الدُرر

أكرم بمولده الشريف وليله

حيا محياه قبل السحر

فها هو يشبه جبينه المضيء وألفاظه بالجواهر التي نظمت في عقد من الدرر وهو شمس النبيين المضيئة التي كشفت نور الجهل وهو خاتمهم الذي أضاء بنوره وسناه سماء الظلم والعصبية وقضي علي التناحر والتباغض فانجلي الكون وانقشع ضبابه فضياء محمد كالشمس التي فاض ضوءها وعم الكون (صلي الله عليه وسلم)

ويقول

سلام علي فم النبي محمد

لفم به در نفيس منظم[1]

فقد شبه أسنانه بعقد الدرر المنظوم بجامع البياض واللمعان والتنسيق في كل.

أما الاستعارة المكنية فقد جري تعريفها علي لسان السكاكي إذ يقول (هي كما عرفت أن تذكر المشبه وتريد المشبه به دالاً علي ذلك بنصب قرينة ينصبها هي أن تنسب إليه ويضيف شيئاً من لوازم المشبه به المساوية مثل تشبيه ألمنيه بالسبع ثم يفردها بالذكر مضيفاً إليها علي سبيل الاستعارة التخيلية

[1] ديوان المجذوب ص ٨٨،٨٩، ٩٤.

من لوازم المشبه به ما لا يكون الا له ليكون قرينة دالة علي المراد فتقول مثلاً مخالب المنية نشبت بفلان طاوياً لذكر المشبه به وهو قولك التشبيه بالسبع[1]

وإذا عدنا لنري كيف كانت الاستعارة المكنية في شعر المجذوب نري أن لها عميق الأثر وأقواه علي مثيلتها التصريحية وحتى التشبيه ونراها تتكئ علي أداتين في تشكيل الصورة الفنية هما:

١/ التشخيص:

وهو إسباغ الحياة الإنسانية علي الجماد والأشياء ويري العقاد[2] أنها ملكة تستمد قدرتها من سعة الشعور حيناً ومن دقة الشعور حيناً آخر فالشعور الواسع هو الذي يستوعب كل ما في الأرض والسموات والأجسام والمعاني فإذا هي حية كلها لأنها جزء من تلك الحياة المستوعبة الشاملة والشعور الدقيق هو الذي يتأثر بكل مؤثر ويهتز لكل هامسة ولامسة صفر من العاطفة خلو من الإرادة نراه يقول[3]

سلام عليكم والسلام ينيلني

كمال شهود للجمال ويلهم

سلام علي رأس الرسول محمد

لرأس جليل بالجلال معمم

سلام علي وجه النبي محمد

فيا نعم وجه بالضياء ملثم

---

[1] ابو يعقوب بن بكر محمد بن علي السكاني سراج الملة والدين – مفتاح العلوم ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور الناشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان – الطبعة الأولي ١٤٠٣هـ – ١٩٨٢م الطبعة الثانية ١٤٠٧، ص ٣٧٨، ٣٧٩.

[2] عباس محمود العقاد ابن الرومي حياته من شعره، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا بيروت ، د ت ص ٢٥٥.

[3] محمد مجذوب قمر الدين – ديوان المجذوب، ص ١٢١.

فقد شخص كثير من الأشياء ليقرب الصورة فقد جعلها أناس يسلم عليهم ثم يقول[1]

لقد راع قلبي من بطيبة قبره

بحسن حواه حار فيه الموصف

تُحِرّك قلبي نسمة الحي أن أتت

بوادٍ عتِيق والمدامعُ تهتف

تعشقت فيه قبل أن أعرف الهوى

ولا تسألن من بعد ما صرت أعرف

أنوم عليه وأستيقظ بحبه

ويعرفه قلبي ولبي والطرف

حبيب سبا كل القلوب فأصبحت

لرؤياه حقاً يا فتي تتشوف

ويقول:

عرف السحاب مقامه ففداه

من حر الهجير بنفسه يتحلق

وكذا الزراع بسمه قد أفصحا

لمحبه فيه يحن ويشفق

والجذع حن لفقده متألما

حتى أتاه وضمه إذ ينعق

---

[1] نفس المرجع السابق، ص ١٣٢.

فلكم وكم لمحمد من مثل ذا

لا تعجبن من ضبه إذا ينطق

فقد شخص قلبه الذي تحركه نسمة الحي وأصابه قلبه بالروح وان قلبه ولبه وعينه يعرفونه والسحاب والزراع والجذع والضب كلها نطقت بحبه ومعرفتها له.

وقوله:

صلاة علي البدر

محمد رسولنا نبي الخير

فقد شبهه بالبدر في ضيائه وإشراقه صرح بالمشبه به وحذف المشبه

٢/ التجسيم:

وهو تجسيم المعنويات وإبرازها في صورة المحسوسات وهو ما نجده في صورة المحسوسات[١].

يقول في ذلك

سلام علي ذات النبي محمد

فيا حسنها فيها الجمال متمم

فهو يجسم ذات النبي في شكل المحسوس

ويقول:

تزمّل بأثواب الجمال تدثراً

وفي حللٍ منه غدا يتلحّفُ

[١] محمد المجذوب قمر الدين – ديوان المجذوب ، ص ١٢١.

ويقول:

صببت دموعاً يشهد الحزن إنها

أتت من فؤاد بالغرام متيمُ

سلام علي رأس الرسول محمد

لرأس جليل بالجلال معممُ

سلام علي وجه النبي محمد

فيّا نِعم وجه بالضِياء ملثمُ

وقوله:

ومنه دواماً نري البشرى

صفوح مليح بلا كدر

فقد جسم ذات الرسول (صلي الله عليه وسلم) وثواب الجمال وجسم الحزن بالإنسان الشاهد وجسم الجلال بشيء محيط برأس الرسول (صلي الله عليه وسلم) وجسم الضياء بشيء محسوس كاللثام وجسم البشري في صورة محسوسة تري بالعين فقد ألبس المعنويات صورة المحسوسات كثيراً في شعره.

الكناية ودورها في تشكيل الصورة عند المجذوب

الكناية من العناصر البارزة التي يتوسل بها الشاعر في تشكيله لصوره وهي تقف جنباً إلى جنب مع العناصر الأخرى من تشبيه واستعارة وتستقل أحياناً بتشكيلها للصورة دون الامتزاج مع العناصر أخرى [١].

والمراد بالكناية (أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلاً عليه مثال ذلك قولهم مثلاً فلان طويل النجاد (أي القامة) وللمرأة نوم الضحى (مخدومة) فقد أرادوا معنى ثم لم يذكروه بلفظه الخاص به ولكنهم توصلوا إليه بذكر معنى آخر شأنه أن يردفه في الوجود، فالقامة إذا طالت طال النجاد وإذا كثر إطعام الضيف كثر الرماد وإذا كانت المرأة مترفة لها من يخدمها نؤوم الضحى ... الخ [٢].

وكان للإثبات بالكناية ميزة لا تكون بالتصريح فليس المعنى إذا قلنا (أن الكناية أبلغ من التصريح) بل لما كنيت عن المعنى زدت في ذاته بل نعني انك زدت في إثباته فجعلته أبلغ وأكد وأشد فليس الميزة في قولهم جم الرماد انه دل على قرى أكثر بل انك اثبت له القرى الكثير من وجه هو أبلغ وأوجبته إيجاباً هو أشد وادعيته دعوى أنت بها أنطق وبصحبتها أوثق [٣] .

والكناية خير من القول رقيق المسلك لطيف المأخذ ونراهم يصنعون في الصفة حيث يذهبون بها من مذهب الكناية والتعريض ، كذلك يذهبون في

---

[١] د. على ابراهيم أبو زيد، الصورة الفنية في شعر دعبل بن علي الخزاعي، ص٣١٥.

[٢] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص٥٢.

[٣] المرجع نفسه ، ص ٥٦ –٥٧.

إثبات الصفة هذا المذهب وإذا فعلوا ذلك بدت هنالك محاسن تملأ الطرف ودقائق تعجز الوصف ورأيت هنالك شعراً شاعراً وسحراً ساحراً وبلاغة لا يكمل لها إلا الشاعر المُفْلِقْ والخطيب المُصْقِع وكما أن الصفة إذا لم تأتك مصرحاً بذكرها مكشوفاً عن وجهها ولكن مدلولاً عليها بغيرها كان ذلك أفخم لشأنها وألطف بمكانها كذلك إثباتك الصفة للشيء تثبتها له إذا لم تلقه إلى السامع صريحاً وجئت إليه من جانب التعريض والكناية والرمز والإشارة كان له من الفضل والمزية ومن الحسن والرونق ما لا يقل قليله ولا يجعل موضوع الفضيلة فيه [١].

وتفسير هذه الجملة وشرحها أنهم يرمون وصف الرجل ومدحه واثبات معنى من المعاني الشريفة له فيدعون التصريح بذلك ويكنون عن جعلها فيه ويجعلها في الشيء يشتمل عليه ويلتبس به ويتوصلون في الجملة إلى ما أرادوا من الإثبات لا من الجهة الظاهرة المعروفة بل من طريق يخفي ومسلك يدق ومثاله قول زياد الأعجم

أن السَماحَة والمُروءة والندى

في قبة ضربت على ابن الحشرج

أراد كما لا يخفي أن يثبت هذه المعاني والأوصاف خلالاً للممدوح وضرائب فيه فترك أن يصرح فيقول أن السماحة والمروءة والندى لمجموعة في ابن الحشرج أو مقصورة عليه أو مختصة به وما شاكل ذلك مما هو صريح في إثبات الأوصاف للمذكورين بها وعَدل إلى ما ترى من الكتابة والتلويح فجعله كونها في القبة المضروبة عليه عبارة عن كونها فيه وظهر فيه ما أنت ترى من

---

[١] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الاعجاز ، ص ٢٣٦ –٢٣٧.

الفخامة ولو اسقط هذه الوساطة من البين لما كان إلا كلاماً غفلاً وحديثاً ساذجاً وهذه الواسطة في طريق الإثبات هي نظير الصنعة في المعاني اذ جاءت كنايات عن معان أخرى [١] .

ونلاحظ من كلام الجرجاني عن الكناية أنها تشتمل على نوعين من أساليب الكناية هما الكناية عن الصفة والكناية عن النسبة لكنه لم يشتمل عن الكناية عن الوصف ويعتبر الزمخشري أدل من أشار لهذا الموضوع فلم تقرأ إشارة واضحة عن الكناية عن موصوف فيما سبق يقول في قوله تعالى: (ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) [٢] فالبهتان المفترى هو الولد وبين يديها كناية عن بطنها وبين رجلها كناية عن مكان خروج المولود).

ويقول الله تعالى: (وحملناه على ذات ألواح ودسر) [٣] أراد السفينة وهي صفة تقوم مقام الموصوف فتتوب منابها وتؤدي مؤداها بحيث لا يفصل بينها وبينه [٤] .

والكناية إذا وردت تجاذبها جنباً حقيقة ومجاز ويجوز حملها على الحقيقة والمجاز وكل فيها يصبح به المعنى ولا يختل لهذا ذهب الشافعي رحمة الله عليه إلى أن اللمس هو مصافحة الجسد فأوجب الوضوء على الرجل إذا لمس المرأة وذلك هو الحقيقة في اللمس وذهب غيره إلى أن المراد باللمس هو الجماع وذلك

---

[١] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الاعجاز ، ص ٢٣٧.

[٢] سورة الممتحنة ، الآية ١٢.

[٣] سورة القمر ، الآية ١٣.

[٤] ابو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل ، ٤٦٧– ٥٣٨هـ.

مجاز فيه وهو الكناية وكل موضع ترد فيه الكناية فانه يتجاذب فيه جنباً حقيقة ومجاز ويجوز حمله على كليهما معاً [١] .

وإذا عدنا للكناية لنرى أنها قد ساهمت في بناء وتشكيل الصورة الفنية في شعر محمد مجذوب قمر الدين بما أن الشعر العربي قديمه وحديثه قد عنى بالكتابة عناية فائقة وكان من أبرزها وأجملها على الإطلاق الكناية التي تكون عن صفة والتي تجمع عدة صفات مثل الكرم والضياء والمروءة والندى غير ذلك من الصفات كيف لا وهو يصف أخلاق سيد الخلق عليه الصلاة والسلام وقد أسهب فيها .

أما الكناية عن الموصوف فهي اقل حظاً عنده رغم انه كنى عن الدين ووضوحه إلى غير ذلك كما كان للمعاني الغزلية في خير البشر نصيب من هذه الكنايات التي تعبر عن الموصوف .

أما كناية النسبة فقد استحوذت على شعره لأنها تقتضي معاني الكرم والآباء والشجاعة وإباء الضيم . فقد مدحوا النبي وصحابته كأبطال ومدحوا شجاعتهم وكرمهم وتقواهم فالمجاذيب في الدامر نظموا النفحات الليلية في مولد خير البرية .

وإذا تأملنا في ديوانه نجده بقول

يجد المُصافح نَشر رَاحَته شَذا

في كَفِه يوما كَما هو مُشتَهر

يجد المصافح شذا كناية عن ريحه الطيب .

---

[١] ضياء الدين بن الاثير ، المثل السائر في ادب الكتاب والشاعر قدمه وعلق عليه الدكتور احمد الحوض ودكتور بدوي طبانة ، القسم الثالث، دار نهضة مصر للطبع والنشر بدون تاريخ ، ص ٥١.

وسر المدد والسهود في مدح النبي المحمود فقد مدحوه بكريم الصفات والشمائل وأصالة النشأة وإخباره وسيرته ومعجزاته إلى غير ذلك

يقول

بَلِغُوا طِيب سَلامِي طَيبة

والُثموا تُرب حِماها الحَسَنا

ثم حَيَّوا ثَاوياً في حَيها

ومقيماً في رُباها سَكنـاَ

الَنبي الهَاشِمي المُصطَفى

من غَدَا في الفَضلِ فَرداً أمكَنَا

ولثم التراب كناية عن قيمته ومعزته وعظيم شأنه .

نوته يقول

هنيئاً لمَن قد شَام وجَنة أحَمد

ومَتَع الطرفَ الكحيل المُسّهَد

َبنوُر تجلى فَوق خَد لأحمد

سَلام عَلى خَد النَبي مُحَمد

لخَد مُنير أسهَل ومُشَمّم

بنور تجلى فوق وجنة أحمد كناية عن صفة الضياء والإشراق وعلو ألمكانه ويَقُول هل بأرق نَحو المَدِينة لاحَا

أم أسفَر الفَجر المُنير صَبَاحَا

وأسفر الفجر المنير صباحا كناية عن الإشراق والوضوح .

ويقول المجذوب [١]

مَدَحا سَيّدا عَالى حَبيباً ذكره حَالِي

حَبيباً ذِكره يَحلوُ وفي وسَط السَماء يُتلَى

وفي وسط السماء يتلى كناية عن الرفعه والسمو

ويقول في مدحه أيضاً

مِن الحُسنِ يَفوقَ على الصَوّر

جَبينَه يُلالئ كَما البَدرِ

ومِنهُ دواما تَرى البُشرَى

صَفُوح مَلوُح لا كَدَرِ

كَريم يَزيد عَلى البَحرِ

وسَيِع العَقل مَع الفَكرِ

مُنيرِ البَاطِن والصَدرِ

كَسَاهُ الله حُلى الفَخَرِ

وهاهو يكني عنه بالبدر كناية على النور المحمدي وبالبشرى كناية عن التفاؤل وبالبحر كناية عن الدم واتساع العقل والفكر كناية عن علمه الغزير ورائه الصائب وبصيرته العميقة .

قوله [٢]

مَدِيحَ المَاحي شَرح صَدَرِي

وحُب المَاحِي مَحا وِزرِي

---

[١] محمد المجذوب قمر الدين – ديوان لمجذوب ص ١٣٢.

[٢] محمد المجذوب قمر الدين – ديوان المجذوب ص ١٣٢.

عَشقتُ الـهَادي فِي الصِغَرِ

وصَار يَزيدَ مع الكِبَرِ

فالماحي كناية عن تحقيق الذنوب والهادي كناية عن هوايته للصراط المستقيم

كما يقول

نَاهِيك بالهَادي الشَفيع مُحَمد

مَن مُرسِل للعَامِلينَ أتَى فَسَرْ

شَمسِ النَبيين الكِرام أمِامُهم

نُورَ الهُدَى بَحر النَدى خَير البشَر

هو صَفَوة الرَحَمن أكَرم مُصطَفى

طَاب بِه النجار وتمَ سَما الفَخرُ

فنلاحظ كناية الصفة شمس النبيين نور الهدى وبحر الندى خير البشر صفوة الرحمن طاب به بنو النجار كناية عن الشمس التي أنار سماء الجهل والكفر والنور الذي كشف الظلام والجاهلية وهو نور الإسلام وبحر الكرم والمختار من الرحمن وحبيبه وهو مصدر فخر بنو النجار أخواله .

يقول محمد المجذوب والد الشعر محمد المهدي المجذوب جلال الدين في مدح المجذوب

أيا مَجذُوب يا قَمر اللَيالي

ويا مَحبُوبُ يا بَدَر الكَمَالِ

ويا شَرَح الصَدُور ويا شِفَاهَا

ويَا مَن رَقَى دَرَج المَعَالى

ويا طِبّ النَفسِ ويا دَواهَا

ومُثبّت هَدِيَهَا بَعد الضَلالِ

ويا بَحرِ العِلوُمِ ومُنتَهاهَا

ويا حُسن الشَمائِل والفِعَالِ

ويا شَمسَ البِلادَ ويا ضِياهَا

ويا مَن حُبي كُل الوصالِ

ويا ظَهر الشَريعة ويَا رِضَاهَا

ويا بَطَن الحَقَيقَة والكَمَال

فقد وصفه بأنه قمر الليالي وبدر الكمال كناية عن الإشراق والوضوح ويا شرح الصدور كناية عن التفاؤل والسمو وطب النفس ودواها كناية عنه إلا بعد الضلال وبحر العلوم كناية عن علمه الغزير وشمس الضحى كناية عن الوضوح والإشراف ، ظهر الشريعة وبطن الحقيقة كناية عن مكانته الدينية .

١- بناء القصيدة

النقاد العرب الأقدمون لم يتعرضوا لتعريف القصيدة لكن علماء اللغة قالوا إنها مأخوذة من القصيدة وهو ما تم سطر أبياته وعندهم مأخوذة من القصيد وهو المخ السمين [١].

ومفهوم القصيدة في أنها تأليف فني هدفه المتعة وليس إعطاء الحقائق العلمية ، أو الوزن أو الوزن أو القافية أي ليس كل كلام موزون مقفى يكون قصيدة فالوزن والقافية لا يكفيان لتأليف قصيدة لأن القصيدة في الأساس تجربة فنية وبناء مركب من عناصر مترابطة ترابطاً عضوياً تتفاوت فيها المعاني والألفاظ وجعل ابن رشيق النية شرطاً أساسياً لحد الشعر فيقول الشعر يقوم بعد النية من أربعة أشياء وهي اللفظ والوزن والمعنى والقافية فهذا هو حد الشعر لان من الكلام موزوناً مقفي وليس شعراً لعدم القصد والنية كأشياء اتزنت من القرآن ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما لم يطلق عليه إنه شعر [٢] . أما عدد اياتها فإذا بلغت سبعة فهي قصيدة ومن الناس من لا يعد القصيدة إلا ما بلغ العشرة وجاوزها ولو بيت واحد ويستحسنون أن تكون القصيدة وتراً مل ذلك ليدلوا على قلة الكلفة والقاء البال بالشعر [٣] .

---

[١] الفيروزبادي – القاموس المحيط – تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م مادة قصد انظر أيضاً لسان العرب لابن منظور مادة قصد .

[٢] ابو الحسن ابن رشيق القيرواني الازوري – ٣٩٠، ٤٥٦هـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده الجزء الأول حققه وفصله محمد يحى الدين عبد الحميد – دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة – بيروت لبنان – بدون تاريخ ص ١١٩ – ١٢٠ .

[٣] نفس المرجع السابق الجزء الأول ص ٨٨ – ٨٩ .

إهتم الشعراء بمطلع القصيدة وحثوا الشعراء على تجويد مطالعها وإذا كان الابتداء حسناً ، سليماً ، رشيقاً ، كان داعياً إلى الإستماع لما يجيء بعده من الكلام.

لهذا المعنى يقول الله تعالى " ألم ، حم ، طس ، طسم ، كهيعص " فقرع الأسماع بشيء بديع لهم بمثله عهد ليدعوهم إلى الاستماع لما بعده والله أعلم بكتابه لذا جعلت أكثر الإبتداءات بالحمد لله لأن النفوس تتشوق للثناء على الله.

فالشعر قفل أوله مفتاحه ينبغي على الشاعر أن يجود ابتداء شعره فإنه أول ما يقرع السمع وبه يستدل على ما عنده من أول وهلة وليتجنب " ألا " وقد " و " خليلي " ولا يستكثر فيها في إبتدائه فإنها من علامات الضعف والتكلان إلا للقدماء الذين جروا على عرف وعملوا على شاكلة وليجعل إبتدائه حلواً وسهلاً وفخماً وجزلاً فقد اختار الناس كثيراً من الإبتداءات نحو قول أمري للقيس في البكاء على الأطلال.

قفا نبكي من ذكرى حبيب ومنزل

وهو عندهم أفضل إبتداء صنعه شاعر لانه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل .

وقول النابغة

كلينى لهم يا أميمة ناصب

وليل أقاسيه بطيء الكواكب [٢]

---

[٢] النابغة الذبياني – ديوان النابغة – تحقق وشرح فاعور – دار الفكر بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٣م ، ص ١١ .

ومما اختير لهم في إبتداء الرثاء قول أوس بن حجر [1]

أيتها النفس أجملي جزعاً

إن الذي تحذرين قد وقعا

ومما اختير للمحدثين : قول بشار بن برد

أبي طلل بالجزع أن يتكلما

يقول أبو نواس

لمن دمن تزداد طيب نسيم

على طول ما أغوت وحسن رسوم

وقوله

رَسمِ الكَرىَ بين الجُفوْنِ مُحِيل

عَفّي عليه بُكىَ عليك طَوِيل [2]

لقد ذكر النفاد عيوب المطالع مزجين النصح للشعراء لاجتنابها من الشعراء من يقطع المصراع الثاني من الأول وأكثر يقع في النسيب .

كقول ابي الطيب المتنبئ [3]

جللاً كما بي فليك التبريح

أغذاء ذا الرشا الأغن الشيح

فهذا اعتذار من اعتذر له ولو وقع مثل هذا في الرثاء والتفجع لكان موصفه أيضاً وكذلك عند العظائم .

---

[1] ديوان أوي بن حجر – شرحه وضبطه وقدم له الدكتور عمر فاروق – الطباع شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة – الطباع شركة دار الأرقم بن ابي الارقم للطباع والنشر والتوزيع بيروت لبنان بدون تاريخ ص ٤٨ .

[2] ابن رشيق – العمدة في محاسن الشعر الجزء الاول ص ٢١٩ .

[3] نفس المرجع السابق ج١ ، ص ٢٢١ .

وأخذ على جرير حين دخل على عبد الملك بن مروان وإبتدأ بنشد

أتصحو أم فؤادك غير صاح

فقال عبد الملك بل فؤادك يا بن الفاعلة كأنه إستثقل المواجهة وإلا فقد علم إن الشاعر قد خاطب نفسه [١] .

وإنما يؤتى الشاعر في هذه الأشياء إما غفلة الطبع وغلظ أو من الإستغراق في الصنعة وشغل هاجس بالعمل يذهب مع حسن القول أين ذهب [٢].

والفطن الحاذق يختار للأوقات ما يشاكلها وينظر في أحوال المخاطبين فيقصد محابهم ويتفقد ما يكرهون سماعه فيحتجب عنه وينبغي للشاعر أن يحترز في أشعاره ومتضح أقواله مما يتطير به أو يستخفي من الكلام والمخاطبات كذكر البكاء ووصف أقفار الديار وتشتت الآلاف ونعي الشباب وذم الزمان وخاصة في قصائد المدائح والتهاني . وبعد هذه المقدمة نعود إلى شاعرنا محمد المجذوب لنرى كيف أتت مقدمات قصائده وكيف تشكلت وتنوعت من مقدمات غزلية طللية ودينية وذكر الديار إلى آخره.

أفتتح المجذوب بعض قصائده بذكر الأماكن التي توصله إلى المصطفى وخاصة أن ديوانه قد ألفه في المدينة المنورة شوقاً وحباً له .

ولقد كان الشعر المجذوبي في بواكيره وليد بيئة صوفيه متدينة يعبرون فيه عما في قلوبهم ووجدانهم لا يعنون بالشكل بل بالصفة لا يتقيدون بالمظهر بل بالمعنى وكان الشعر عندهم وراثياً.

---

[١] ابن رشيق – العمدة في كاس الشعر الجزء الاول ص ٢٢٢ .

[٢] نفس المرجع السابق ج١ ، ص ٢٢ – ٢٢٣ .

ومن إحدى قصائد محمد المجذوب ابن الشيخ الطاهر التي افتتحها بذكر الأماكن يقول

بلغوا طيب سلامي طيبة

والثموا ترب حماها الحسنا [١]

ثم حبوا ناوياً في حبها

ومقيماً في رباها سكنا

النبي الهاشمي المصطفى

من غدا في الفضل فرداً أمكنا

ويقول محمد المجذوب قمر الدين أيضاً [٢]

بطحان قلبي والعقيق معلق

والروضة الغنّا فؤادي يخفِقُ

والقُبة الخضراء تنزع مهجتي

ولمن بها دوماً له أتشَوقُ

قد كنت في تلك الأماكن راتعاً

أبداً بها فيها أُهيم أصَفِقُ

وأعمر الأوقات من ذكراهموا

فعساهموا يحنو على ويشفِقوا

---

[١] محمد المجذوب قمر الدين – ديوان المجذوب ص ١٧٩ – ١٨٠ .

[٢] نفس المرجع السابق ص ١٢٩ .

ويقول أيضاً

لقد طال شوقي يا أمينة لطيبة [١]

أُشخصها طوراً وطوراً أُناظِرُ

تذكرت يا خلي ليالي مبيتنا

بمسجدها والقوم باك وذاكرُ

تذكرت ساعات الوقوف تجاهه

نصلي عليه تارة وتارة نُسامرُ

تذكرت أخي ترداد بين روضة

وبين دكاك الزيت وهي آواخِرُ

أشاهد منها قُبّة النور وهي

في ضياء له العافون شاموا وزائِرُ

كما مدحوا الأماكن الإسلامية المقدسة حتى يصلوا إلى مدح الرسول الكريم وجعلوها افتتاحية لقصائدهم وقد تسبق بشيء من الابتهال بالرسول (صلى الله عليه وسلم) يقول الطاهر المجذوب [٢]

يا رب صَلّ على النبّي وآلِه

مَا سَار رَكب للحَجِيج وراحَا

هل بارقٌ نحو المدينةِ لاحَ

أم أسفرَ البدرُ المنيرُ صباحَا

---

[١] محمد المجذوب قمر الدين – ديوان المجذوب ص ١٢٣ – ١٢٤ .

[٢] نفس المرجع السابق ص ٢٣١ .

ونسبة لارتباطهم بالمديح النبوي في العصور السابقة فقد طرقوا الغزل والغزل الصوفي فتغزلوا بسلمى وليلى وسعاد وزينب كرمز .

أبَدتْ سليمى وأنجلى بسناها

غسق الدجى إذ أخجلت من ضاها

أهم افتتاحيات قصائده كانت تبدأ بذكر الديار والنسيم والرياح التي توصلهم إلى ديار المحبوب وهي طيبة الطيبة بلد الحبيب المصطفى محمد (صلى الله عليه وسلم) وغيرها من الأماكن المقدسة .

كما بدأت قصائدهم باسم الله ثم الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول المجذوب [١]

بسم الله ذا الأعلى

بدأنا ذكره أحلى

لطه ذخرنا نتلو

عسى نُرضِى به المولى

مدحنا سيداً عالى

حبيباً ذكره حالى

حبيباً ذكره يحلو

وفي وسط السماء يُتلى

فهي قصيدة طويلة من المربعات العشرة التي تبدأ بالبسملة ويرى زكي مبارك أن شيوخ الأزهر لا يزالوا يختلفون أن بداية الشعر بالبسملة لأنه فيما يرون ليست من الأمور ذات البل ولا الأهمية [٢]

---

[١] محمد مجذوب قمر الدين – ديوان المجذوب ، ص ١٥ .

[٢] زكي مبارك – التصوف الإسلامي في الأدب والخلاق .

أيضاً يقول

صلاة الله على البَدرِ

محمد رسولنا نبي الخيرِ

بدأتُ كلامي كما الدِر

بالاسم الأولِ في الِذكرِ

الله إلهي ولى الأمرِ

عظيمُ قادر مقتدرِ

ولا يفوتني في هذا المقام أن اذكر بقصيدة " صببت دموعا " وهي قصيدة واسعة الانتشار تدل على حبه وتولهه به (صلى الله عليه وسلم) ويقال أنها ما ذكرت في مجلس إلا حضرت فيه روحانيته (صلى الله عليه وسلم) يقول مطلعها

صببتُ دمُوعاً يشهد الحُزن أنها

أتتْ من فؤادٍ بالغرامِ متيمُ

أما خواتيم القصائد عند المجذوب والمجاذيب عامه فتختم بذكر الله ثم الصلاة على النبي ثم ذكر اسم الشاعر طالباً شفاعته في يوم الحساب يقول جعفر بخيت في المديح " اعتقد أن نظرية مداح النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى طلب الشفاعة ليست نابعة من إيمانهم بان الله خص محمد بالشفاعة يوم القيامة تكريما له كما يؤمن بذلك المسلمون وإنما ينبع بإيمانهم بان حبيب الله حبيبهم الذي تربطهم به صلة وثيقة ولا يمكن أن يرد ذلك الحبيب محبوبه المذنب حيث يطلب شفاعته لذلك جعلوا كل أملهم في شفاعة النبي (صلى الله عليه وسلم) للمؤمنين بأنهم لن يصيبوا مكروها ما

دام النبي حبيبهم واحتلت الشفاعة مكانه في المديح النبوي تفوق مكانتها عند عامة الناس [1] .

والمجذوب له قصائد كثيرة في هذا المعنى يقول في الختام طالباً الشفاعة

مدحناه نرجو منك ترضى مديحنا

وتُرضيه عنّا وهو عندكَ شافِع

وصلِ إله العالمين وسَلِمَنْ

على أحمد و الآل والصحب تابِع

محمد مجذوب يقول مديحه

ولى عِنده مثل العالمين مطامِع

ففي القصيدة يختم داعياً ربه طالباً رضاه يمدح المصطفى طالباً شفاعته يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم طالباً عفو الله وصلي وسلم على الرسول وصحبه ويقول المجذوب له مطامع وحاجة وهي الشفاعة والنجاة يوم القيامة .

ويقول في قصيدة أخرى [2]

يا سيدي إني مَدحتُك قاصداً

من فيض جاهك إنني قد أُعتَقُ

محمد مجذوب قال لربِه

ربي بِجاه المصطفى لترفقُ

صلّى عليك الله يا نُورَ الهُدَى

والآل والصحب الكرام تُطبقُ

---

[1] جعفر عثمان بخيت – الفكر الصوفي في نشأته وتطوره ، ص ٩ .

[2] محمد مجذوب قمر الدين – ديوان المجذوب ، ص ١٣٠ .

فأي قصيدة مجذوبية تختم بالصلاة على الهادي البشير ثم يطلب في خاتمتها الشفاعة وهو ما نلمحه عند الشعراء المديح السابقين أمثال البرعي وهو يقول خاتماً قصائده الدينية في مدح خير البرية [١] .

جعلت مدحي فيك يا علم الهُدى

سبباً وأنت وسيلة المُتسببُ

فأقل عثار عبدك الداعي الذي يرجوك

إذ راجيك غير مخُيبُ

وأجر بها عبد الرحيم كرامة الدارين

خير جزاءِ نَظمِ مُعربُ

وأشفع له ولمن يليه وقم بهم

في كل حال يا شفيع المُذنبُ

وها هو الشيخ البوصيري يقول في ختام خاتما بالدعاء إلى نفسه والصلاة على النبي ثم طلب شفاعته يوم الحساب

هو الحبيب الذي تُرجى شفاعتُه

لكل هولِ من الأهوالِ مُقتحَمُ

ويقول في الشفاعة أيضاً

لجُودِ المصطفى مُدّتْ يدانا

وما مُدّتْ له أيد تخيبُ

---

[١] محمد المجذوب قمر الدين – ديوان المجذوب ص ٦٥ .

شفاعتُه لنا ولِكلِ عَاصِ

بِقدرِ ذُنوبُنا منها ذنوبُ

صَلاةُ اللهِ ما سَاَرَتْ سَحاباً

عليه ما رسا وثوى عسيبُ



جاءت هذه الدراسة عن الشيخ محمد مجذوب قمر الدين الذي اتسم بنزعة التصوف في شعره ومدى تأثره بشعراء التصوف السابقين في العالم الإسلامي لذلك جاء مطبوع بطابع التصوف بالسودان والتصوف في البلاد العربية.

إن عملية إحياء الطريقة المجذوبية على يد الشيخ محمد المجذوب قمر الدين قد جعلت التصوف يأخذ مرحلة جديدة في هذه الأسرة تختلف عن سابقتها من حيث انه يتميز بالعمق والارتباط المباشر بالأفكار الصوفية وقد بدأ واضحاً خلال هذا البحث.

فشعر شعراء المجاذيب موجود من خلال ديوان كبير شامل هو ديوان مجموعة الشيخ المجذوب في أجزاء الشيخ الطاهر المجذوب ثم ديوان ابنه محمد مجذوب.

وقد أخذت هذا الديوان ووقفت على القصائد الموجودة فيه بشيء من المتابعة ولا أدعّي إنني قد قمت في هذا الديوان بالكمال لان أعمال البشر دائما يعتريها النقص ويحتاج إلى التهذيب والتنقيح وحسبي أن يكون موضع الصواب في عملي أكثر من الخطأ وأعوذ بالله أن يعجبني عملي وأتمنى من الله أن يجعله من العلم الذي ينتفع به.

والله ولي التوفيق

الخلاصة:

قام هذا البحث على تمهيد وثلاثة فصول

في التمهيد نبذة تاريخية عن أسرة المجاذيب

الفصل الأول المبحث الأول : سيرة ذاتية عن الشاعر مولده، أسرته ، تعليمه ، ثقافته ، شيوخه ، إحياؤه للطريقة المجذوبية الشاذلية ودوره التربوي في منطقة الدامر.

المبحث الثاني : تصانيف مجموعة الشيخ المجذوب (الجمانة – النور الساطع – مولج الآلي – النفحات الليلية ح العقد المنظم – برق المدد والسهود)

الفصل الثاني : المديح النبوي في شعر المجذوب

المبحث الأول : ذكر الشمائل النبوية

المبحث الثاني : ذكر المعجزات

المبحث الثالث : معارضته لشعراء المديح من أمثال البرعي اليمني والإمام البوصيري

الفصل الثالث : الفكر الصوفي عند الشيخ المجذوب

المبحث الأول : العشق الإلهي

المبحث الثاني : الرمز الصوفي

ثم قدمت خاتمة تناولت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث ثم مصادر البحث ومراجعه

تلك المامة سريعة تناولت خلاصة لهذا البحث الذي اسأل الله له التوفيق والقبول .

النتائج و–التوصيات:

من خلال دراستي للتصوف بصفة عامة والتصوف في السودان متمثل في الشيخ الجليل محمد مجذوب قمر الدين خلصت إلى النتائج التالية:

١. أنها طريقة اعتمدت على العلم في تصوفها والواقع أن الاتجاه العلمي في التصوف الإسلامي في السودان ظهر في مدارس أخرى في هذه البلاد حيث تم انتقال بعض الناس من ميدان الإيمان التقليدي القائم على العاطفة والذي لا يتعدى مجرد الخضوع للإسلام واعتناقه إلى ميدان الإيمان العلمي الذي يقف عند حد التقليد وإنما يحاول أن يفهم أمور دينه ما أمكن عن طريق التلمذة في حلقات العلم [١] .

٢. لا عجب أن ثقافة فقهاء المجاذيب وخاصة شاعرنا المجذوب وابن أخيه الطاهر وابنه محمد المجذوب الطاهر ومحمد مجذوب جلال الدين ... الخ كان لهم الأثر في ثقافة فقهاء المجاذيب وعلمائهم وإتباعهم من ناحية التفقه في الدين والسلوك الحميد في المجتمع فأنتجوا مدارس الدامر والقضارف رجالاً مقتدرين أمثال الشيخ محمد الخير أستاذ الإمام المهدي ومدرسة سواكن أمثال الشيخ أستاذ الإمام المهدي ومدرسة سواكن عثمان دقنة وغيرهم [٢] .

---

[١] التصرف في السودان ، ص٢٩ .

[٢] بشير كوكو حميدة ، لمحات من تاريخ المجاذيب ، ص ٩٩ .

٣. ألغت المجذوبية العصبية ومحت التمايز والفت قلوب الأتباع من شتى القبائل فأصبحوا بنعمة الله إخوانا واعدت النفوس لتقبل الدعوة الإسلامية التي جهر بها الإمام محمد احمد المهدي وظهر ذلك في استجابتهم لدعوته [١] .

٤. خلف الشيخ المجذوب وإتباعه تراثاً ثقافياً ترك أثره في نشر الثقافة الإسلامية فهنالك الرسائل التعليمية ومؤلفات السيرة النبوية والأذكار والأوراد وتردد في شتى بقاع السودان .

٥. لم يُعلم المجاذيب أبناءهم علوم الدين فحسب بل تعدوها إلى علوم اللغة العربية والنحو والأدب والبلاغة .

٦. الشيخ المجذوب مال إلى نزعة التصوف في شعره وقد تأثر بشعراء التصوف السابقين في العالم الإسلامي أمثال البرعي والبوصيري وابن الفارض.

٧. قيام عملية إحياء الطريقة المجذوبية على يد الشيخ مجذوب قمر الدين جعلت التصوف يتميز بالعمق والارتباط المباشر بالأفكار الصوفية.

٨. شعر المجاذيب موجود في ديوان كبير يحتوي على شعر المجذوب وابن أخيه الطاهر وابنه محمد المجذوب بن الشيخ

---

[١] نفس المرجع السابق ، ص ٩٩ .

الطاهر وقد اطلعت على هذا الديوان بكل وعي ويظهر ذلك من خلال البحث .

٩. قصائد الديوان تميزت بالسهولة والسلاسة والوضوح وبعدت عن الغموض ومالت للبحور الخفيفة كما تميزت بالتشطير والتخميس.

١٠. لم ينل المجاذيب حقهم من البحث وآمل أن يأتي من بعدي ليدلي بدلوه فهنالك الشيخ الطاهر وابنه الشيخ محمد المجذوب الطاهر والشيخ محمد المجذوب جلال الدين وأتمنى أن تتكاتف جهود الباحثين عندنا علي هذه الناحية القيمة المغمورة بتراثنا السوداني الإسلامي حتى يشبعونها درساً وبحثاً على جوه تكتشف عما تقوم إليه وترمي إليه من معاني الحق والخير والجمال .

المراجع والمصادر:

١- القرآن الكريم

٢- أبي الفضل جمال الدين ابن مركم ابن منظر – لسان العرب – دار صادر للطباعة والنشر بيروت ١٩٥٦م .

٣- احمد بن الحاج أبو على كاتب الشونه – مخطوط كاتب الشونه في تاريخ السلطنة السنارية – تحقيق الشاطر بصيلي عبد الجليل – دار إحياء الكتب العربية – الباب الحلبي القاهرة ١٩٦١م .

٤- إبراهيم الباجوري شرح البرده للإمام البوصيري – المطبعة الكستيلية – مصر ١٢٩١هـ .

٥- الطاهر محمد على البشير الأدب الصوفي السوداني – طبع الدار السودانية – ط ١ . ١٩٨٥م .

٦- بشير كوكو حميدة – لمحات من تاريخ المجاذيب – بحث لنيل درجة الشرف – كلية الآداب جامعة الخرطوم – ١٩٧١م

٧- بطرس البستاني محيط المحيط – مطبعة بيروت – ١٩٨٧م.

٨- جعفر عثمان بخيت – شعر المديح النبوي نشأته وتطوره – رسالة مجاستير – كلية الآداب جامعة الخرطوم ١٩٦٩م.

٩- حسان بن ثابت الأنصاري – ديوان حسان بن ثابت – طبع دار صادر بيروت – ١٩٦٦م.

١٠- حسن الفاتح قريب الله – التصوف في السودان إلى نهاية عصر الفونج – رسالة ماجستير كلية الآداب جامعة الخرطوم ١٩٦٥م.

١١- ذكي مبارك – التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق – دار الكتاب العربي مصر ج١ . ط٢ ، ١٩٥٤م.
١٢- ذكي مبارك – المدائح النبوية في الأدب العربي – مطبعة الباب الحلبي مصر ١٩٥٣م.
١٣- شرف الدين أبي حفص عمر بن الفارض – ديوان ابن الفارض – طبع القاهرة ١٩٥٦م.
١٤- شمس الدين عبد الله محمد أبي بكر الدمشقي ابن قيم الجوزية زاد المعاذ في هدى العباد . تحقيق شعيب الارنؤط ط٢٣ .
١٥- شرف الدين أبي عبد الله محمد البوصيري – ديوان البوصيري – تحقيق سيد كيلاني – طبع الباب الحلبي مصر الطبعة الأولى ١٩٥٩م .
١٦- عبد الرحمن بدوي – شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية – مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٢م.
١٧- عبد الغني النابلسي – شرح ديوان عمر بن الفارض – المطبعة الكستيلية سلخ – مصر ١٢٧٩هـ .

١٨- عبد الله الطيب – المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها – مطبعة جامعة الخرطوم للطباعة والنشر – الجزء الرابع – ١٩٩٠م .
١٩- عبد الله الطيب – الاتجاهات الحديثة للنثر العربي في السودان – معهد الدراسات العربية جامعة الدول العربية ١٩٥٩م.
٢٠- عبد القادر محمود – الفكر الصوفي في السودان – دار الفكر العربي القاهرة ١٩٧١م .
٢١- عبد الرحيم البرعي – ديوان البرعي في المدائح الربانية والنبوية والصوفية – مطبعة حجازي القاهرة ١٩٥٢م .
٢٢- عبد العزيز عبد المجيد – التربية في السودان المطبعة الأميرية القاهرة ١٩٤٩م .
٢٣- عبد المجيد عابدين – تاريخ الثقافة العربية في السودان – دار الثقافة للطباعة والنشر بيروت – الطبعة الثانية ١٩٧٦م.
٢٤- عوض السيد الكرسني – المجذوبية والمكاشفية طريقتان صوفيتان في السودان – ترجمة أسماء عبد الرحمن بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير ١٩٨٢م .
٢٥- قرشي محمد حسن – مع شعراء المديح المطبعة الحكومية الخرطوم الطبعة الأولي لم ثبت تاريخ الطبع.
٢٦- محمد الطاهر المجذوب – الوسيلة للمطلوب في مناقب الشيخ المجذوب – مطبعة التقدم العلمية مصر الطبعة الأولي، ١٣٣٢هـ.

٢٧- محمد ود ضيف الله بن محمد ألجعلي ألفضلي – طبقات ود ضيف الله في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان – المطبعة المحمودية التجارية نشر صديق ١٩٣ – طبع ونشر منديل ١٩٣٣.

٢٨- محمد مجذوب جلال الين منجح السؤال في مدح الرسول (صلي الله عليه وسلم) الدار السودانية الخرطوم الطبعة الثانية ١٩٧٠م.

٢٩- محمد مجذوب جلال الدين – أسني المطالب في مختصر المناقب – مطبعة مصر لم يثبت تاريخ الطبع.

٣٠- محمد مجذوب قمر الدين – ديوان مجموعة الشيخ المجذوب – طبعة الباب الحلبي – القاهرة الطبعة الثانية ١٣٥٩م.

٣١- محمد حسن حلمي – ابن الفارض والحب الإلهي دار المعارف مصر ١٩٧١م.

٣٢- نعوم شقير – جغرافيا تاريخ السودان– دار الثقافة بيروت الجزء الثالث ١٩٦٧م.

٣٣- يوسف إسماعيل النبهاني المجموعة النبهانية في المدائح النبوية– دار المعرفة بيروت ١٩٧٤م.

الفهرس:-